

تبی

مع
البرياترا



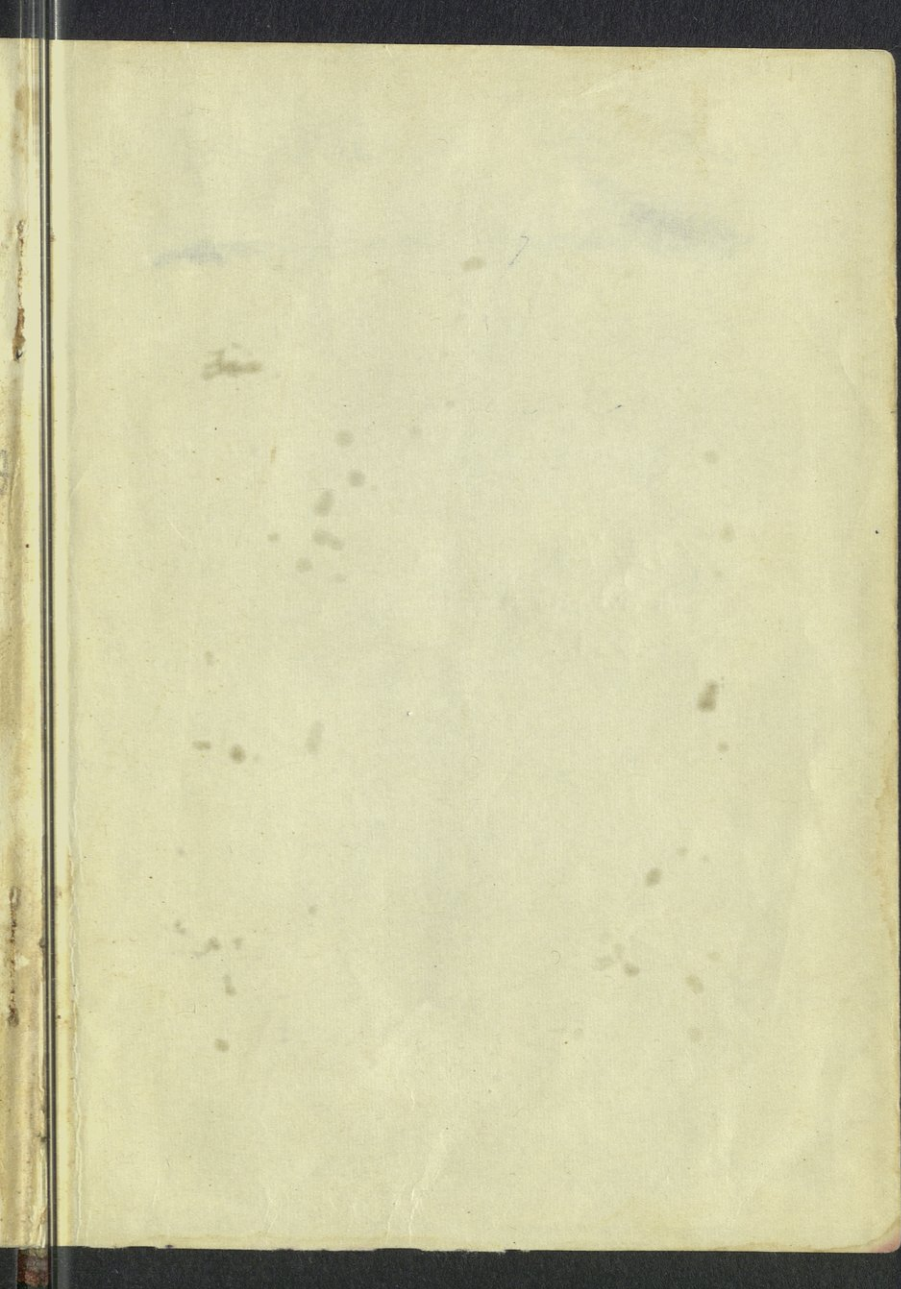
JAFET LIB.

JAFET LIB.

TE

240

مجلد صانع الدفر
٢٢١٧٧



892.72
Sh53mo7

مصرع کلپو پائرا

892.78

Sh5985maA

تأليف

C.1

المرحوم أحمد شوقي بك

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٤٦

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى صاحب السمو الملكي الأمير « فاروق »
ولي عهد المملكة المصرية (*)

فاروقُ يا أزكى نبات الوادي
ولحة الآباء والأجداد
ويا مناط العهد من «فؤاد»
إلى اليد المأمولة الأبدى
أرفع ما قد وسع اجتهادي
ورَدَ الربَّاءَ وزنبق الوهاد
حوادث قديمة الميلاد
فضن عن الملوك والقواد
وصرن وحي شاعرو شادي
وفتنة السراع والميداد
يعطفن كل طيب الفؤاد
تهزّه فجيمعة الأنجاد

(*) أهديت إلى جلالتة قبل ارتقاء جلالتة عرش المملكة المصرية .

وروعة المقادر العوادي
 وما خلدون من شعاع هادي
 يُبَيِّن الغيِّ من الرشاد
 ومن قصيدٍ ملء كل نادي
 عَفَّ البيوت نزه الأوتاد
 تُسَيِّغُه مسامع الزهاد
 وقصصُ مستحدث في الضاد
 يُؤَلِّفُ التمثيل بالإنشاد
 في وطن على الفنون غادي
 مَسْرَحُهُ كان بلا عماد
 والدُّكُّ المُعَانُ بالسَّداد
 أقام رُكنِيه فكان البادي
 وإن تقبَّلتَ وذا اعتقادي
 جزيت إخلاصي واحتشادي
 لجيلك الناهض بالبلاد

تمهيد

١ - زمن الرواية : الأيام الأخيرة في حياة كليوباترا حوالى سنة ٣٠ قبل الميلاد بين وقعة «أكتيوم» البحرية وانتحار كليوباترا .

٢ - مكانها : في الاسكندرية وأرباضها .

٣ - أشخاصها :

(أ) الأشخاص التاريخية :

• كليوباترا

• مارك أنطونيوس

• أكتافىوس قيصر

• قيصرون : ابن كليوباترا من يوليوس قيصر .

(ب) الأشخاص الموضوعة :

• أنوبيس : الكاهن الأكبر .

• زينون : أمين مكتبة قصر كليوباترا .

	{ حابي ... ديون ... ليسياس
• مساعدو زينون	

هيلانة : وصيفة كليوباترا وبينها وبين حابي غرام

شرميون : وصيفة أخرى .

أوروس : روماني في معية أنطونيوس وهو عبده

وتابعه وصفه .

أولمبوس : طبيب روماني في بلاط كليوباترا .

أنشو : مضحك الملكة .

غانيز : ساقها

حبرا : عرافها

أياس : شاديها

أجيل : قائد الأسطول المصري وربان أنطونباد

سفينة كليوباترا .

بولا : شاعر

أغا القصر

(ج) النكرات المسرحية : جنود وقواد مصريون

ورومانيون . راقصات . عزاف .

الفصل الأول

المنظر الأول

« في مكتبة قصر كليوباترا - حاي وديون وليسياس جلوس إلى »

« عملهم . يسمع جماعة من العامة خارج القصر ينشدون هذا النشيد »

يؤمننا في أكتيوم ما ذكره في الأرض ماز

إسألوا أسطول روما هل أذقناه الدمار!

أحرز الأسطول نصرا هز أعطاف الديار

شرفاً أسطول مصر حزت غايات الفخار

صارت الإسكندرية هي في البحر المنار

ولها تاج البرية ولها عرش البحار

حاي : إسمع الشعب (ديون) كيف يوحون إليه

ملاً الجو هتافاً بحياتي قاتلية

وانطلى الزور عليه أنثر البهتان فيه

يا له من بغياء عقله في أذنيه

ديون :

حاي : سمعت كما سمعت وراعني أن الرمية تحتفي بالرامي

هتفوا بمن شرب الطَّلَا في تاجهم وأصار عرشهم فراش غوام
ومشى على تاريجهم مستهزئاً ولو استطاع مشى على الأهرام

حاني :

أَتَذَكَّر يا ديون إذ انطلقنا إلى الميناء نلتبس الهواء
وكان البحر كالميت المُسَجَّى وكان الليل للميت الرداء

ديون :

نعم وهناك آنسنا سحاباً وراء الليل جلّت السماء
فقلت أنظر ديون تَرَأْ الجواري يَطْأُ الماء همساً والفضاء
وأقبلت البوارج بعد حين سوايب لا دليل ولا حذاء
رَجَعْنَ رَجُوعَ قُرْصَانٍ أَصَابُوا من الغزو الهزيمة والبلاء
فلم نسمع لملاح هتافاً يُبشِّرُ بالقدوم ولا نداء
ولم نرَ فوق سارية سراجاً ولا من ثقب نافذة ضياء

حاني : فماذا قلت ؟

ديون :

قلت ديون إني أرى الأسطول بالويزات جاء
دخول الظافرين يكون صباحاً ولا تُرْجَى مواكبهم مساءً
فلما أصبح الصبح انتبهنا نرى الأسطول أزين ما تراءى
تبرجت البوارج بعد عطل وهزت في ذوائبها السواء

ورُدَدَ في المدينة أن روما عفا اسطوؤها ومضى هباء
فضج الناس بالبشرى وكذبوا حناجرهم هتافاً أو دعاء
هداك الله من شعب بريء يصرفه المضلل كيف شاء

ليسياس [هامسا لحاي] : [تدخل هيلانة]

حاي : صه قد ظهرت هيلانة وأقبلت بالطلعة الفتانة
تنفخ كالزنبقة العيسانة

حاي : ليسياس، أهلك عن المجانة هيلانة في القصر قهرمانه
لها وقارٌ ولها مكانة

هيلانة : سلامٌ لك يا حاي

سلامٌ لك هيلانة

هيلانة : أمرتُ أن أقول للأمين ستحضر الملكة بعد حين
فبلغ الأمر إلى زينون

حاي : سيدتي سأفعلُ أمرُكما بمتشَلْ

هيلانة : تقرّني بريتي ! ذلك ما لا أقبل

حاي : هيلان ، أنت ملكتي وأنت وحدك الملك

هيلانة : بل كيلبترا وحدها لم يخنوا شمسين الفلك

إن أنت لم تؤمن بها فلست لي ولست لك

[تخرج هيلانة ويدخل زينون من باب آخر في هيئة تفكير واضطراب]

حابي : ذاتُ الجلالة سيدي قد آذَنْتُنَا بالزيارة
زينون : هذه حِجْرَتُهَا لا عِدِمَتْ طيبَ رِياها ولا ضوهُ حِلاها
كلَّ يومٍ تتجلى ساعةً ها هنا كالشمس في عِرضِها
تَدْخُلُ الدارَ فتَنسى مُلْكُها بِلِقَاءِ الكُتُبِ أو تَنسى هِواها

[محدثا نفسه في ركن قهي من اركان المكتبة] :

أما الشبابُ فقد بَعُد ذهب الشباب فلم يَعدُ
ويحيي أَمِنْ بعد السنين نَ وقد مرَّرنَ بلا عِدَد
أو بعد طولِ تجاربي ومكانِ علمي في البلد
تَجَنَّبُني الحِسانُ عليَّ ما لم تَجَنَّبُني قَبْلُ على أحد؟

ديون [هامساً إلى زميله] :

حاب ، ليسياس ، أقسمُ أنت زينونَ مَغرَمُ
فضح الشيخَ حبَّه والهوى ليس يُهَكِّمُ
ليسياس : يَمَنُ الشيخُ مولَعُ ليت شعري متى سَيمُ
ديون ، وبمنُ جَنِّ يا تُرى ؟

حابي [ضاحكاً] : كلَّ خاف سَيُعَلِّمُ

زينون [مستمراً في حديث نفسه] :

مالي جننتُ فصرْتُ أُمَّتَهُم الشبابَ وأضطهدُ
 لم ألقَ رأساً فأحما إلا حملتُ له الحسد
 ووجدتُ لأعيجَ غيرةً بين الجوانح يتقد
 فكان ظلمةً شغره في مُقلتي هي الرمد
 وكأنما سرقتُ ذوا بُه شباي المفتقد
 ولو أن لي ولداً فما ت لما بكيتُ على الولد
 حذراً وخوفاً أن يكو ن بها تعلق أو وجد
 شك يعذب مهجتي إن المشكك في كبد

[يلتفت إلى حاي ويطل إليه النظر ثم يناديه] :

حاي ، بني

[يأتي إليه حاي]

قل ولا تخفِ علي هل تُحب ؟

حاي : أحب ! من قال ؟

سمعتُ

زينون :

من روى لك الكذب ؟

حاي :

زينون : بُني ، ليس بالفتى إذا أحب من عجب
 من لم يُحب لم يؤد للشباب ما وجب

حابي [متكهما] :

لكن أَدَّعي الهوى وليس لي منه سبب ؟

زينون: حابي ، بُني لا ترُغْ من السؤال بل أجيب

لولا الهوى لم تَكُ في ظل الشباب تكتتب

ما بال يَشْرِك أمحي ولونك الغضَّ شُحِب ؟

وللدموع من مآ قيك تكادُ تنسكب ؟

حابي [ساخراً] :

أفنى زينون واضح من الغواني أبعد الشيب تحدُك النساء ؟

زينون [غاضباً] :

أتعلم يا غلامُ عليَّ عشقاً ؟

دع الإنكار قد يروح الحفاء

حابي :

زينون: ومن أنباك ؟

حابي : أنت !

زينون: وكيف ؟

فتفضحك الوسواسُ والهذاء

تَهْدِي

حابي :

تكشِّف عن سرائره الغطاء

كمحموم يبوح وليس يدري

أبعد العطف والإشفاق يشقى بصحبتك الشباب الأبرياء ؟
فكل فتى رأيت زعمت صبياً بخامرُه من الرقطاء داء ؟
وما كعمى الشيوخ إذا أحبوا وليس وراء غيرتهم بلاء

زينون [لنفسه]:

إلهي قد فضحت و ضل شبي و ضاعت حكمتي وخبا الذكاء
[لحابي]:

صدقْتُ بُنيَّ بي داءٌ دخيلٌ وليس إلى الدواء لي اهتداء
عليّ تلاوت الأفعى، فهل لي من الأفعى ونكسزتها نجاء ؟
أرى ولها وأحسبُه جنوناً كسانيه على الكسبر القضاء
حابي: وتُعطي حين تلقاها ابتساماً وأنظنيوس يُعطي ما يشاء
صباحُهما مغازلةٌ وصيدٌ وللأقداح والقُبُل المساء
أتَرْضَى أن يكون سريرُ مصرِ قوائمه الدعارةُ والبِغاء ؟
أتهديمُ أمةً لتَشيدَ فرداً على أنقاضها ؟ بُسَّ البِناء !

أبي، شيفي، اجترواتُ عليك فاصفحْ

فلم أكُ أجترى لولا الوفاء



إلهي قد فضحت وذل شبي وضاعت حكمتي وخبا الذكاء

(صفحة ١٣)

لقد آن التكاشف والتواصي بما توحي الكرامة والإباء
تعال إلى جماعتنا ، فإننا جنود الحق يجمعنا الواء
شباب نحن يعوزنا شيوخهم في المدهمة يستضاء
زينون: كفى، إني نفضت يدي منها ومزق عن بصيري الغشاء
حايي: أبي زينون قد بُحت من السر بمكنوني
وما غيرك زينون على السر بأموت

[يشير إلى ديون وإيباس] :

أخي ، هذا أثيني وخلصي ذاك مقدوني
كلا الخليئين للحق كما أدعوه يدعوني
كلا الخليئين ذو جدٍ بأرض النيل مدفون
فليتسا في هوى مصر وفي طاعتها دوني
فديننا الوطن الغالا بي بالجنس وبالدين
ولم نصير على حكم لرومية ملعون
ولسنا حزب أكتاف ولسنا حزب أنطون
ولا نخضع للبأس ولا نخدع باللين
ولم يبق على الودد لروما غير زينون

الملك

زينون: معاذ الله ، 'عدّوني من العصابة 'عدّوني
 كساك الله يا روما لباسَ الذلِّ والهون
 حابي: أبي أنت الطبيبُ وكل داء له في صيدليّتك الدواء
 فهي لها ابن ساعته وعجلُ يُعجّل في السماء لك الجزاء
 لعل سمومك الزعف المواضي من الأفعى وقتنتها شفاء

[يدخل جندي عن حرس الملكة يعلن قدومها]

الحارس: الملكة!

زينون [كأنها يفيق من حلم]:

الملكة! لا برّحت 'مملّكه!

ودام مجدُ المملكة!

[تدخل كليوباترا ومن ورائها ابنا فيصرون بين وصفتها
 شرميون وهيلانة ومن ورائهن أنشو مضحك الملكة وأغا القصر]

الملكة: تحيّتي لأمناء المكتبة وشيوخهم أعلى الشيوخ مرتبه
 زينون: سلام السموات في مجدها على ربّة التاج ذات الجلال
 تمّنت رأسين لا واحداً إذا مسّت الأرض هام الرجال
 أطايط رأساً لمجد النبوغ وأخفض رأساً لمجد الجمال

حاجبي • ديون • لسياس [يتلفت بعضهم إلى بعض أسفا] :
أنشو [للوصيفتين وقيصرون] :

أما يُغنيه عن رأسه
فحينئذ هو مصري
وفي مجلس يوليوس
وإن لاقى أغا القصر
من رأس فيه وجهان ؟
وحينئذ هو يوناني
وأنطونيوس روماني
فنبوي وسوداني

[يدخل الكاهن أنويس من باب مقابل]

الملكة : كاهن الملك سلام
صل من أجلي ولا تذ
أنويس : ربّة النيل التّجيا
حرست تاجك إيزيد
الملكة : هو ذا ابني قيصرون
لا عد منا بركاتك
س صغاري في صلاتك
ت الزّكيّات لذاتك
س و مدّت في حياتك
يتلقى نفحاتك

الكاهن [لنفسه] :

إيزيس كيف أصلي
أبوه عال ولكن
على ابن يوليوس قيصر ؟
فرعون أعلى وأكبر

[يسمع هتاف من خارج القصر وجماعة ترتل نشيد النصر السالف في اكتيوم]
الملكة [عابسة] :

كاهن الملك، سادتي، هل ممّعت
رنة الصوت في جوانب قصري ؟

أنوبيس: هم رعايا مليكتي
الملكة: ليت شعري

أخيراً تجمّـوا أم لشرّ ؟

شرميون :

الجاهيلُ يا مليكةُ بالشرّ ط
سرّهم ما لقيت في أكتيوم
من ظهور على العدو ونصر
نبا بات في المدينة يسري

الملكة :

يا لافك الرجال! ماذا أذاعوا
أي نصر لقيت حتى أقاموا
ظفر في فم الأمانيّ حلو
وغداً يعلم الحقيقة قومي

شرميون :

ربة التاج ذلك الصنع صني
كثرت أمس في الاياب الأقاوير
فأذعت الذي أذعت عن النص
خفت في خاطري عليك الجاهية
فأغفري جرأتي، فيارب ذنب
أنا وحدي وذلك المكر مكري
ل وظن الظنون من ليس يدري
ر وأسمعت كل كوخ وقصر
ر وأسفقت من عدّي لك كشر
يتعب العذر فيه مهّدت عذري

الملكة :

شرميون، اهدئي فما أنت إلا
 أنت لي خادمٌ ولكن كَأنا
 إنما الخادمُ الوفيُّ من الأهل
 اسمعي الآن كيف كان بلاني
 أيها السادة اسمعوا خبرَ الحر
 واقتحامي العباب والبحر يطغى
 بين أنطونيو وأكتاف يومٌ
 أخذت فيه كل ذاتِ شراع
 لا ترى في المجال غيرَ سُبوح
 وترى الفلُك في مطاردة الفلأ
 وتخال الدخان في جنّبات الـ
 ودويّ الرياح في كل لُج
 وترى الماء ، منه عودٌ سرير
 يغسل الجرح شرٌّ من غسل الجرح
 كنت في مركبي وبين جنودي
 قلت روما تصدّعت فترا شط

مَلَكٌ صيغ من حنانٍ ويسر
 في الملماتِ أهلُ قرْبى وصهر
 ل وأدني في حال عسر ويسر
 وانظري كيف في الشدائد جبري
 ب وأمر القتال فيها وأمر
 والجواري به على الدّم تجري
 عبقري يسيرُ في كل عصر
 أهبة الحرب واستعدت لشر
 مُقبلٍ مدبرٍ مَكْرٍ مَفْرٍ
 ك كنسرٍ أراد شرّاً بنسر
 جوّ جنحاً من ظلمة الليل يسري
 هزج الرعدِ أو صباح الهزب
 لغريقٍ ، ومنه أحناء قهر
 ح وبأسو من الحياة ويُبري
 أزنُ الحرب والأمر بفكري
 رأ من القوم في عداوة شطر

الورد البشري

شَ وشبّا الوغى ببحر وبر
 علاموا هارب الذئاب التجري
 وتدبرت أمرَ صحوي وسكري
 لت عن البحر لم يسُد فيه غيري
 منه فانسلت البوارج إثري
 يلحق السقن من دمار وأسر
 يوسَ حتى غدرته شرَّ غدر
 وأبا صبيتي وعوني وذُخري
 في سبيلي بألف قَطُر وقَطُر
 بذتَ مصر و كنتَ مُلكة مصر

بَطَلَاها تقاسما الفُداكَ والجدي
 وإذا فرَّقَ الرِّعَاةَ اختلافُ
 فتأملتُ حالتي مَلِيًّا
 وتبيّنتُ أن روما إذا زا
 كنت في عاصف، سَلَّتْ سُراعي
 خلّصت من رَحَى القتال ومما
 فنسيتُ الهوى ونُصرة أنظن
 علمَ الله قد خذلتُ حبيبي
 والذي ضيَّع العروشَ وضحى
 موقفٌ يُعجب العَلا كنتُ فيه
 [ملتقنة إلى زينون] :

عن القتال والسفر
 وخطّة انسحابي
 ولا درى به أحد
 ما يجلبُ السلوانا
 والصَّحْفُ المُلْهية

زينون، فصلت الخبر
 وقلتُ عن إياي
 ما ليس يعلمُ البلدُ
 فهل لديك الآنا
 من الأُمالي المُسْلِيّة

زينون: عندي يا مولائي روائع الآيات
تسعون ألف سفر
من كل رقي عجب
قيصر أنطونيوس وهب
وكل غال مدخر
أسلابه من حربه
هدية من قيصر
للسلطة الإسكندر

أنشو: إذا كانت الكتب في شرعكم
فإني الغني بدرّ الفواقر
وما الكتب قوتي ولا منزلي
الملكة: حكيم لعمرى على جهله
ظريف الحديث لطيف الحوار

زينون [مغيظاً] :

ولكنها حكمة السامئات
وكلتاها لا تعدّ الشهور
أنشو: رويدك مولاي بعض السباب
وفلسفة غير بنت اختبار
يحجب البقاء وخوف الدمار
فليس السباب سبيل الكبار

هَبِ اللَّيْلَ طَالَ فَقَطْعَتُهُ بِدِرْسٍ وَأَصْبَحْتَ تُغْفِي النَّهَارَ
وَأَقْبَلْتَ بِالْكَتَبِ تَطْوِي الطَّوَالَ وَتَنْشُرُ فِي إِثْرِ هَنْ الْقِصَارِ
وَزِدْتَ عَلَى الْأَرْضِ عِلْمَ السَّمَاءِ كَبَارَ كَوَاكِبِهَا وَالصَّغَارِ
إِذَا مَا نَفَقَتْ وَمَاتَ الْحَارُ أَبْيَنَكَ فَرْقُ وَبَيْنَ الْحَارِ ؟

زِينون [غاضباً] :

ماذا تقول السيدة ؟

الملكة [ضاحكة] :

واحدةٌ بواحدة

أبي أنوبيسُ أرجو

بل تأمرينَ مُطَاعَهُ

أنوبيس :

الملكة [مشيرة إلى باب محراب مفتوح ومتجهة إليه] :

هذا مُقَامُ صَلَاتِي وَهَيْكَلِي لِلضَّرَاعَةِ

وَلِي خَطَايَا كَثِيرَةٌ لَا تَبْرَحُ الْبَالِ سَاعَهُ

فَادْخُلْ وَصَلِّ لِأَجْلِي فَمَنْكَ تُرَجَى الشِّفَاعَةُ

[يَدْخُلَانِ الْمَحْرَابَ وَيَتَبَعُهُمَا الْحَاضِرُونَ مَا عَدَا حَاشِي وَدِيونَ وَإِلْيَاسَ]

ديون [متهمكاً] :

إِسْكَندَرِيَّةٌ صَرَتْ وَفَرَفَ مَعْبَدُ مِنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ عَلَيْهِ سِتَارُ

اختَصَّ آلهةُ الجلالِ يسرَّه
ما خَطَبُهم حابي، وماذا يَبْتَوا

ليسياس:
حابي:

أرأيتَ وقعةَ أكتيوم وما جرى
ليسياس، إنك قد سمعتَ حديثَها
تبدو الحَيَاةُ فيه وهي أمانةٌ
وعلتَ كيف نَجحتَ وكيف انفضَّ عن
ليسياس:

واليوم حابي، أين أنطونيوم؟
قل لي: أحيٌّ في البلادِ مشرَّدٌ
حابي:

ليسياس، تسألني تجاهلَ عارفٍ
ليسياس:

حابي:

لم تأتِ حتَّى جاء في آثارها
ويقال بل أخذتهُ تحتَ شراعِها
تجري الرياحُ بما تشاءُ قلوَّعه
للحبِّ أجنحةٌ مِن يُطار
ونجا بهُ فُلكُ لها محصار
ويسيرُ في طاعاته التيسار

وَيُقَالُ غَضْبَانٌ عَلَيْهَا عَاتِبٌ
وعلى صفاء العاشقين سحابة
آلى وأقسم لا يُرى في قصرها
إن البلاء أجلّ من ألا يُرى
ديون :

عجبٌ اتحفني في المهيم النار؟

حابي :

أنطونيو منا بأقرب ثكنة
ويُعِدُّ أهْبَتَهُ ليوم حاسم
ويكون ميدان الرمح ومدارها
فهناك خاتمة الصّراع وموقف
يدعو من الرومان من يختار
في البر يُغسلُ عنه فيه العار
تلك التلالُ وهذه الأسوار
إما الدمارُ به وإما الغار

[يسمع صوت أنويس من داخل المحراب مرتلا هذا النشيد] :

إيزيسُ ذات الحجاب
شعبك لاقى العذاب
مالكة العالمين
من عبث الظالمين

يا من خفضنا الجباه
صُغْنَا إليك الصلاة
لعزّها ساجدين
من أدمع النادمين

[ستار]

المنظر الثاني

« في إحدى غرف القصر الملكي ورعى الحرب دائرة بيناكتامبوس وأنطونبوس على أسوار الاسكندرية - حاي في الغرفة حيث تدخل عليه هيلانة »

هيلانة: أتدخلُ حاي مَقاصيرها ؟ بلغت من الجُرأةِ المنتهى

ستعلمُ أمرَك ذاتُ الجلال

حاي :

بل أمرتُ أن تراني هنا

كذلك قد أمرتني أنا

هيلانة: عجبت لها ولتدبيرها

وتجزيبك عن سخطِ الرضى

إذن هي تجمعنا يا جحشودُ

حديثُ الأفاعي طويل المدى

حاي: هيلانةُ خلتيك من ذكرها

فما لي أراك أسأتَ الجزأ ؟

هيلانة: رؤو يدك حاي لقد أحسنتُ

وإن قلّ في ظلها الملتقى

حاي: هيلانةُ ، يا طيبها خلوةُ

عنان الحديث ونشك الجوى

تعالى هيلانةُ نعطِ الغرام

نعيم بينهما والشقا

أبلي يدي يدتيك اللتين

هلم هيلانةُ

بكنه الأمور قليل الهندى

هيلانة: حاي أراك

وإن هو من كلّ حسّ خلا

من القصر لاتلتبس خلوة

وأرضُ القصورِ بعينٍ تَرى

بقُربِكِ أو حُلُمي باللقا

خلقتِ على جانبيه القَدَى؟

ولا ترميني بعقُوقِ الهوى

صديقُ الصوابِ عدوُّ الخطا

لهانِ البلاءُ وقلَّ العنا

وأي حُقوقٍ لها تُدعى

[تدخل كليوباترا]

حقوقِ الرِّعاية إذا الفتي

إلهمي لقد سمعت ما جرى

وأنتُ تُعينُ عليَّ العدا

وَتُعْشِي الحفيظَةَ لي والقلِي

فمثلكَ تاب ومثلي عفا

سِماءُ القصورِ لها أذُناتُ

حاي : هيلانةُ لا تقطعي نَشَوَتِي

أمهما تَحَيَّلتُ صَفوَ الحِياةِ

هيلانة : حناؤُكَ حايّ لا تتهِمُ

وُلْدُ بِالْأَنَاةِ فَإِنَّ الْأَنَاةَ

فلو كنت وحدك شغل الفؤاد

ولكن حُقوقُ كلوباطرةِ

حاي :

كليوباترا : حقوقُ الولايةِ إذا الغلام

وَصَبْرِي عَلَيْكَ لِأَجْلِ الْفَتَاةِ

حاي [مأخوذاً] :

الملكة : وسدّي المسامعَ حبّاً بها

وترسل في العرش هجر الكلام

ولكن لننسى الذي قد مضى

دع الذود عن مصر لي إنني
ولا تطيع الفتيحة العابثين
أنا السيفُ والآخرون العصا
أسود الكلام نعام الوغى
[إلى أنويس] [يدخل أنويس]

أبي : قد أتيت

أ أنويس : سلامٌ عليك
الملكة : أبي قد تلاقى هنا العاشقان
فباركُ فتاتي وباركُ فثاك
أنويس : حياتك حاي كنيسة
مقيدة باليقين القنوع
الملكة : كزهر المقاصير لم ينتفع
أنويس : وتحسب في الكتب علم الحياة
حاي : لعلتي كذي الشك في حرصه
أرى راكب الشك ملء المجال
ولو شككت في المراج الفرائش
أنويس : ولكن ثمر على ما تراه
وهذا الملاك
شعاع المدائن نور القرى
وكان بتديري الملتقى
وكفكف هواه إذا ما غلا
يشاكل أو لها المنتهى
وما أمر القلب أو ما نهى
بطول الأديم وعرض الثرى
وما منه في الكتب الأشدا
يقبس الطريق ويحصى الخطا
طويل العنان بعيد المدى
لكان سلاماً عليها السنا
تجاوزته نحو ما لا يرى
[مشيراً إلى هيلانة]

74/4

كمولاته
تمشي على جنّبات الحياة
يخوض الوحول ويفشى الحلى
ويخترق العرصات الفساح
ويرتع بين أنوف الأسود
الملكة: ولكنه طاهر حيث طاف
أي قد نسينا حديث القتال
وجيش الحليف وجيش العدو
هنالك يقضى مصير البلاد
ومن عجب كاد يمضي النهار
طليق الإرادة حرّ الحجب
كما يتمشى شعاع الضحى
ويأوى الحضيض ويعلو الذرا
وينفذ من ضيقات الكوى
ويلعب بين عيون الظبا
نقيّ الذبول عفيف الخطا
فمنذ الصباح تدور الرحى
بظهر المدينة رهن الوغى
فأما البقاء وإما الفنا
وما من رسول وما من نبا

[يدخل جندي من جنود أنطونيوس منهوكا يعلو الغبار]

الجندي: سيدتي جئتُك بالأخبار
اتصرت جنودنا الضواري
فبصر أنطونيوس على آثاري
لقد جرت بسعدك الجواري
نحت لواء البطل المغرّاء

الملكة: يا فرحاً ما أعظم البشارة!
«واكتيوم» قد أخذنا ثاره
حلت على أكتافيو الحسارة
«خذ» يا رسول هذه البشارة

[تتمعه بدره من الذهب فيخرج من باب وتدخل شرميون من باب]

شرميون • سيدي يا طربا ! سيدي يا فرحا !
 دارت على أكتافيو وجيش أكتافيو الرحي
 هيلانة : ملكتي هل تسمعين

[يسمع صوت بوق وهتاف من بعيد]

الملكة [منصبة] : صوت بوق وهتاف

[تقوم الملكة إلى النافذة وترهف أذنها وعينها] :

هو والله نشيدي والمغنّون جنودي
 والمخاربق التي تح فف من بعد بنودي
 ولديها فارس ممل ثم شاكي الحديد
 يتراءى في عنان ال جوار كالبُرج المشيد
 هو أنطونيوس ذخري وطريفي وتليدي

[إلى شرميون وهيلانة] :

أها البنات هذي ليلة العيد السعيد
 صليا مثل صلاتي واسجدوا مثل سُجودي

[يسجد الثلاثة لحظة . ثم تنهض الملكة أولا وتتجه نحو النافذة] :

هو ذا أنطونيوس من جانب الميناء أقبل
 هيكل يحمل من صافات الحيل هيكل

الرَّداءُ الأَرْجُوانيَّ على عِطْفِيهِ مُسْبِل
مَبْسَمٌ يَضْحَكُ مِنْ تَحْتِ جَبِينِ يَتَهَلَّل
هو ذا يَدْنُو

شرميون : أتى والله
هيلانة : مولاتي ترجل

الملكة [تبتدر الباب] :
أيها البنتان هذي ليلة العيد السعيد
أنويس (هامسا لحاي) :
حاي، احيط القصر بالذئاب وبني من السخط عليهم مابي
للملكة :

سيدتي تأذن في انسحابي؟ وتأذنين ملكتي لحاي
الملكة [ضاحكة] :
إلى الأفاعي ؟

أنويس : لا إلى المحراب
الملكة :

رَأَيْكُمَا فِي الْمَكْثِ وَالذَّهَابِ
[يخرجان ويدخل أنطونيو وحاشيته وقواده وتابعه
أوروس . أنطونيو يقبل على الملكة ماداً يديه]

أنطونيو : إلهتي !

الملكة : قيصري !

أنطونيو : سلطانتي !

الملكة : ملكي

أنطونيو : عندي لك اليوم يادنياي أخبار

الملكة : عجّل فديتك

أنطونيو : لا ، لا بدّ من ثمن

الملكة : كرائم المال ؟

أنطونيو : ما للمال مقدار

[يمد إليها جبينه في ضراعة] :

ردّي على هامتي الغار الذي سلبت

[تقبله]

كليوباترا :

تقلد الغار من تهوى وتختار
جيش بمفرده في الرّوع جرّار
أسالم أنت ؟ لأمر ولا عار ؟

اليوم تعلم روما أن ضرّتها
واليوم تعلم روما أن فارسها
أنطونيوس سيدي ، هل نحن في حلم ؟

أنطونيو :

أيدي الكهنة وفي كفي أظفار

أمره ؟ وهمت كليوباترا ، أنظفري

لو قلت قتل لكان القول أشبه بي
الحرب تعلم والأيام تشهد لي
لو كنت شاهدتني والحرب جارية
قد جن تحتي جوادي فهو عاصفة
رأيت حملة صدق غير كاذبة
لما صدمت جناحيهم وقلوبهم
وما وجدت لأكتافيو وقادته
ومالت الشمس أو كادت فراجعني
حتى رجعت ولو أني طردتهم
كليوباترا :

تركتهم لغدي هذي مجازفة
غد غيوب وأسرار وأقدار

[مخاطبة أوريوس] :

أوريوس ، أنت بفنّ ال
الحرب فكّك أورو
إن كان « مرّك » إلها
فكنّ بحقّك عوني
قتال أعلم ميني
س والسياسة فني
فأنت في الحرب جني
وقلّ لقيصر عني



ردي على هامتي الغار الذي سلبت فقبيلة منك تعلوها هي الغار

(صفحة ٣١)

إن المني لم تُقصّر
 بل قصّر المتمني
 فلو صبرتم قليلا
 وسرتم في تاني
 أرحموني وروما
 من الحسام المُنعمي
 أوريوس : سيدتي لم تقصدي
 لما عدلت سيدي
 عجلت في الحكم على
 ما لم توري وتشهدي
 لقد حملنا حملة
 كمثلهما لم يُعهد
 استنفذت بأس القنا
 وقوة المهند
 فكان لا بد لنا
 تُرجي القتال للغد
 أنطونيو : كليوباترا دعينا من
 تجشيك كليوباترا
 أنبسين على الصبر
 وقوم حرموا الصبرا؟
 وبني من صبرك الواهي
 جراح الأمس لم تبوا
 لقد منيت أسطولي
 لدى أسطولك النصر
 حليف كنت أرجو أن
 سأشمتد به أورا
 فعبأ تحت أعلامي
 كحق زحما البحرا
 وقد كانا الجناحين
 وقد كنت أنا النسرا
 وأجرى الفلك أكتافيو
 فأجريت كما أجرى
 صفقناها وأرسلنا
 بها تقهجم الجمر

كَلَانَا مَارَسَ الْحَرْبَ وَعَانِيَ الْكَرَّ وَالْفَرَّ
 فَلَمَّا آذَنْتُنَا الْحَرْبَ بْ بِالْمَعْرَكَةِ الْكُبْرَى
 تَسَلَّلَتْ بِأَسْطُولٍ كَ مِنْ غَمَرَتِهَا الْحَرْبَى
 فَقُلْتُ أَنْسَجِبْتُ ضَعْفًا وَقَالَ النَّاسُ بَلْ غَدْرًا
 وَلَوْ كَانَ لَهُمْ قَلْبٌ كَقَلْبِي التَّمَسُّوا الْعَذْرَا
 كَلْيُوبَاتَرَا : أَنْطُونِيوسُ مَلِكِي أَنْطِينِيوسُ سَيِّدِي
 لَيْسَ الْعُبُوسُ سُنَّةً لَوَجْهِكَ الطَّلُقُ النَّدِي
 وَلَسْتُ مِنْ بَغْضٍ فِي لَيْلِ الشَّرَابِ وَالذِّدِّ
 وَلَسْتُ لِلْكَأْسِ عَلَى شَارِبِهَا بِالْمُفْسِدِ
 قَلْبُكَ كَنْزُ الْحُبِّ وَالْوَ حْمَةِ وَالتَّوَدُّدِ
 وَكَمْ حَقَقْتُ ثُمَّ أَمْ بِحَتِّ كَأَنَّ لَمْ تَحْقِدِ
 أَلَسْتُ بِالْأَمْسِ وَأَمْ سَ لِقْنَةٍ لَمْ تَبْعُدِ
 وَهَبْتُ لِي جَرِيرَتِي وَالصَّفْحُ نَصْفُ السُّودِ
 فَاطُورٌ مَعِيَ حَوَادِثُ الْآ أَمْسٍ وَلَا تُجَدِّدِ
 وَامْضِ مَعِيَ فِي لَذَّةِ الْآ يَوْمٍ وَدَعْ هَمَّ الْغَدِ
 أَنْطُونِيو : كَلْيُوبَاتَرَا بِجَبِّسِيكَ مِنْ التَّأْنِيبِ تَخْلِينَا
 لَقَدْ سَقْتُ وَقَوَّادِي إِلَيْكَ النِّصْرَ فَاجْزِينَا

الكل
 (المرسل)

مُري بالكاس والطاس وبالنَّدْمَانِ يَسْقِينَا
وبالقَصَفِ وبالعزف وَحَدَّاقِ الْمُغْنِينَا
وما طَيِّبُ أَلْوَانَا وما طاب رِيَاحِينَا
وقولي الشعرُ عُلُوبَا كما كُنْتَ تَقُولِينَا
وأوحِىهِ إِلَى شَادِرِ كَ يُلْقِيهِ فَيُدْشِجِينَا
غَدَا نَسْتَأْنِفُ الْحَرْبَ وَنَطْوِيهَا مِيَادِينَا
انثو : وَنَغْشَاهَا نَخَامِيرَ وَنَلْقَاهَا مَجَانِينَا
كليوباترا : مُرْ بِمَا شِئْتَ قِصْرُ وَأَشِرْ كَيْفَ تَأْمُرُ
لك قِصْرِي وَمَا حَوَى الْإِ قِصْرُ كُلِّ مُسَخَّرِ
ليس شَيْءٌ وَإِنْ غَلَا عَنْ حَبِيبٍ يُؤَخَّرِ
لَتَكُونَنَّ لِبَلَّةً آخِرُ الدَّهْرِ تُذَكِّرُ
لَا تُبَالِي إِذَا صَفَتْ بَعْدَهَا مَا يُكَدِّرُ
تَحْلُمُ الْحُلُمَ لَسْتَ تَدْرِي بِمَاذَا يُفَسِّرُ
[لوصفائها ووصفاتها]

البدار البدار ياوصفائي ووصفائي البدار البدار
قِصْرُ قِصْرٍ هُوَ الْأَمْرُ النَّا هِيَ عَلَى الْقِصْرِ فَلْيَكُنْ مَا أَشَارَا
هُوَ يَبْقَى وَلِيْمَةٌ فَاضْعُوهَا وَانْشَقُّوهَا كَمَا اشْتَهَى وَاخْتَارَا

أَطْلِعُوا هَذِهِ الشَّمُوعَ شَمُوساً
وَأَعِدُّوا الْخُوانَ قَدْ ضَمَّتْ الْأَ
وَاجِعُوا بِالْمُدَامِ شَمْلَ النَّدَامِ
وَاجْعَلُوهَا وَلِيمَةً وَبِسَاطِئاً
مِصْرُ إِنِ أُوْلِمْتُ سَمْتُ بِالْأَغَانِي
لَا تَسِيرُوا عَلَيَّ وَلَا تَمِ رُومَا
كَلِمَا أُوْلِمْتُ أَسَاءْتُ إِلَى الْعَقْدِ
وَلَقَدْ تَجْعَلُ النَّسَارَ نَدَامَا
قَائِدَ رُومَانِي [لَزِمِيهِ غَاضِباً] :

أَتَسْمَعُ مَا تَقُولُ عَدُوَّ رُومَا ؟
أَتَحْتِ لَوَائِهَا وَبِجَانِبِهَا
الْآخِر :

غَدَاً تَلْقَى وَإِنْ غَدَاً قَرِيبُ
الْأَوَّلِ [لَأَطُونِيوسَ فِي عَتَبٍ وَغَضَبٍ] :
أَمِيرِي أَنْطُونِيوُ أَفِي الْحَقِّ أَنَا
[يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَنْطُونِيوُ نَظْرَةً طَوِيلَةً ثُمَّ يَنْصَرِفُ عَنْهُ إِلَى كَلِيُوبَاتَرَا نِيْهَمِسُ الْقَائِدُ] :
أَلَا إِنَّهُ لَيْلٌ لَهْ مَا وَرَاءَهُ
غَرَامُكَ حَيٌّ فِيهِ وَالْمَجْدُ مَيِّتٌ

الفصل الثاني

« في حجرة الولاثم بالقصر الملكي ، حيث ترى كليوباترا ووصفتها هيلانة »
 « وشرميون ، وأنطنبوس ، وأوروس ، وبضعة من القواد الرومان ، وأولبوس »
 « طيب الملكة ، وأنشو مضحكها ، وغافيز ساقيا ، وحاجب يعان أسماء القادمين »

انطونيو : قياماً تشرب الخمر
 كليوباترا : على حبك أنطونيو
 قائد روماني : على روما

كليوباترا : دعوا روما
 فما أنطونيو منها
 ولكن تحت أعلامي
 أحقّ مارك أنطونيو
 ولا تجروا لها ذكرا
 وإن كان ابنها البكر
 يقود البر والبحرا
 س من روميّة تبرا؟
 [تنظر اليه كليوباترا فقراً في عينيها ما تريد]

انطونيو : أجل أتبع مولاتي
 كليوباترا : على حبك أنطونيو
 انطونيو : ثلاثاً أربعاً عشر
 أنشو : وإن شئت فعشر
 إلى ما فوقها سكر
 وصلنا السكر للأخرى
 ولا أعصي لها أمرا

قائد روماني [لزملائه همساً] :

دَعُوا أَنْطُونِيوْ إِنِّي أَرَى السَّكْرَبَةَ أَزْرَى
لَقَدْ كَانَ الْفَتَى الْفَطْنُ فَصَارَ الْحَدَثَ الْغَيْرَ

قائد آخر [همساً] :

سَنَلِبْتُ سَاعَةً فَتَحْتَالُ حَتَّى إِذَا سَلْتُ عَنْقُولَهُمْ أَنْسَلْنَا
فَمَا الْمُسْتَدَلُّ السَّكْبُ أَهْلًا لِنَتَصَرَّهُ السِّيُوفُ إِذَا اسْتَلْنَا

الحاجب :

أَيَّاسُ الْمُغْنِيَّ وَجَوْهَةُ الْعُزَافِ
وَرَأَقَصَاتُ الْقَصْرِ

[يدخلون]

كليوباترا : أَهْلًا بَوَفْدِ الْآلِهَةِ أَهْلَ الْفَنُونِ النَّاهِيَةِ

الشيخُ زَيْنُون

الحاجب :

رُبَّانْ أَنْطُونِيَاد

[يدخلان]

أنطونيو : مَاذَا عَنِ الْأَسْطُولِ مِنْكَ يَا أَخِيلُ نَعْلَمُ ؟

أَوَلَمْ تَوَلَّ تَضَرَّمْ ؟ هَلْ تَحَدَّثُ فَتَنْتَهُ

أَخِيل : مَوْلَايَ إِنْ الْبَحْرَ نَحْ فِي سِرِّهِ وَيَكْتُمُ



وما نواه في غدٍ مثلُ غدٍ مُستبهم
فلا أقولُ مُقدِّمٌ ولا أقولُ مُحجم
ولا أقولُ يَنْبُري للحرِبِ أو يَسْتَلِم
كليوباترا: أخيلُ دَعْنَا من غدٍ
أخيلُ، ما العيشُ سوي
✓ فلا تَكُنْ كداخلٍ على النَّدَامى يَلْطَم
✓ أتَيْتَهُمْ مُنادِماً لم تَأْتِهِم ليندموا
اليومَ مُشربٌ

زينون: وغداً حربٌ

فانمیز: كلامٌ مُحْكَم!

الحاجب: بُولا الشاعرَ حَبِوا السَّاحِرُ

كليوباترا [ضاحكة]:

حَبِوا، أَعْنَدُكَ سِجْرٌ يَشَلُّ طَاغُوتَ رُوما؟
وَيَجْمَلُ النَّاسَ فِيهَا حِجَارَةٌ ورُسُوما؟

[القواد الرومانيون يدمدمون]

أنطونيو: سيدتي لا تجرحي قوادي ولا تنالي بالأذى اجنادي
وقللي السخط على بلادي

كليوباترا: أنطونيو ما أنت رومانيّ ألم تقلّ إنك لي جنديّ ؟
 أنطونيو: بلى ، وددت أني مصريّ وأنني تابِعُكَ الوفيّ

* ما في سوى رضاك لي مضيّ *

أنثو: تلك والله قضيه أصبح الراعي رعيّه
 حكم الحب على قيه صار كالشعب وساوى
 أنطونيو: حبرا ، تكلم ألا عجيبه ؟
 حبرا: إله الحرب سامحني فأني
 هم لا يجلسون على غناء
 كليوباترا: ولكن قيصر يدعوك حبرا
 وأنت الكاهن العراف فانظر
 حبرا: إذا ما شئت مولاتي فأني
 كليوباترا: أذن من قيصر حبرا
 أنطونيو: تعال حبرا وقلّب
 لعل أسرار كفي
 أصبح الراعي رعيّه
 صرّ والحب بليّه
 همج الإسكندريه !
 من سحر منف أو سحر طيبه
 غلبت على أبالستي الغضاب
 ولا يتحدثون على شراب !
 وقيصر لا يردّ بلا جواب
 أغير السحر شي في الجراب
 اطالع في الكهوف وفي الكتاب
 وانظر الكهفين واقرا
 يدي يمني لي سرى
 كواشف لك سيرا

[يتقدم حبرا وينعم في كف أنطونيوس]



آلاترى لي بقاء ؟ آلاترى لي عمرا ؟

(صفحة ٤٣)

ألا تَرى لي بقاء ؟ ألا تَرى لي عمرا ؟
 حبرا : يا عَجَبَ الفال ! مولا ي أعجبُ الناسُ أمرا
 حياتهُ يديتهُ والناسُ يحبونَ فسرا
 إن شئتَ عشتَ نهارا أو شئتَ عمّرتَ دهرا

[قائد روماني إلى زملائه هسا :]

لو كنتُ منه قريباً لقلتُ في أذن حبرا
 حيازه في يديه أم في يدي كليوباترا !
 كليوباترا : تعال الآن سل كفي وبين ما الذي تخفي

[يتقدم حبرا إليها ويمسك يدها بعناية وشغف]

حبرا : يا لك كفاً كنقي العاج فاعمة كخمل الديباج
 لا مسها من الجحيم ناجي !

[ضحك]

تفدى الأكف كلها يمينا بيضاء حمراء ترف لنا
 كما أظلل الشفقُ النسرينا

[أنطونيو] ضاحكا :

ممعت حبرا ملكتي كيف ابتكر كلف أن يصنع سحرا فشعر
 يولا الشاعر : السحرُ والشعرُ سواءُ في الأثر

كليوباترا: لقد أعجبك الشعرُ
وما سرُّك أنطونيو
وراقنتك معانيه
سُروري كله فيه
فما تأمرُ في حبرا
بأي البر أجزيه ؟
حبرا [لأنطونيو] :

جائزتي يا سيدي تقبيل هذه اليد !
انطونيو [ضاحكا] :

قبِّل ولا ترَدِّد

[يقبل يديها بين إقدام وإحجام]

حبرا : عَجِبْتُ عَيْنِي لَا تَقْ
هذه كفَّ إِلَهٍ
وى على هذا الضياء
جاء في زيِّ النساء

كليوباترا: خلني من زخرف المدح
ما وراء اليد يا رءف
ح ومن زورِ الشفاء
أف من غيب القضاء ؟
أحضيضُ يومي الآ
خير - قل لي - أم سماء ؟
خاتمُ الأيام أولى
باهتمام العظاماء

حبرا : ملكتي يومك في الأيام منشور الهواء
نابه الصبح كيوم الشمس علوي المساء

تَخْطَرُ العِزَّ عَلَيْهِ وَمَشَى فِيهِ الْإِبَاءُ
ثُمَّ يَتَلَوهُ بَقَاءَ لَمْ يُطَاوِلْهُ بَقَاءُ

أنشو [لزينون]:

رَأَيْتَ الشَّعْرَ قَدْ أَجْدَى فَمَاذَا قُلْتَ يَا فَار؟

زينون: إِلَهَتِي وَمَلَاكِي كُفِّتِي الْمَهْرَجَ عَنِّي

قَدْ نَالَ مِنِّي وَلَوْلَا نَادِيكَ مَا قَالَ مِنِّي

أنشو: سَيِّدَتِي عَبْدُكَ أَنْشُو قَدْ صَدَقَ

الْفَارُ فِي مَكْتَبَةِ الْقَصْرِ نَطَقَ

يَقُولُ إِنْ أَسْرِقَ فزِينُونَ سَرَقَ!

هَمَّتِي فِي الْجِلْدِ وَهَمَّهُ الْوَرَقُ

يَسْطُو عَلَى آثَارِ كُلِّ مَنْ سَبَقَ!

أنطونيو: إِنْ أَرَى أَنْشُو وَأَمثَالَهُ زَادُوا عَلَى زِينُونَ فِي الْجُرْأَةِ

يَا وَبَحَّ لِلشَّيْخِ عَلَى فَضْلِهِ أَصْبَحَ فِي مَجْلِسِهِمْ هُزْأَةً

أنشو: هَبَّوْهُ فِي الدَّرْسِ بِحِرَاءٍ هَبَّوْهُ فِي الْعِلْمِ أُمَّةَ

لَا يَخْلُقُ الْعِلْمُ نَفْسًا وَلَا يُنْبِئُهُ هِمَّةَ

كم عالم في يد الجا هلين ملقى الأزمه
كليوباترا: أقيل المنزح يا أنشو وأرسله بمقدار
قلولا الجهل ما رُحِتَ تقيسُ اللثيث بالفار

يا زينون: يا سماء احفظي ويا أرض صوفي
أظهرت عطفها على زينون

يا كليوباترا: يا غاميز هات النيد
هات اسقني واسق الحبيب
واسق المسلا

بولا الشاعر: بنت الدنان أم الزمان
خبأها في قبورها
ساقى منا

لوت القرخ حنا القدح
سر السرور صفو الحياه
قوت المني

كليوباترا: قيصر ، ذي سلافة الفيوم
تنمى إلى عقائل الكروم

نخبوة من عهد مصرايم
قد عمّرت كعمُر النجوم
دنانُ مصرٍ لا دنانُ الروم

القواد الرومان [يدممون ويتهامسون] :

قائد : قولوا يا رومانينا تحيا روما

آخر :

تحيا

ثالث :

تحيا

أنشو [ضاحكا] :

تحيا الخمر يحيا السكرُ

القواد : تحيا روما

تحيا مصرُ

جماعة من المصريين :

أنطونيو : أيها الشادي أياسُ بلغ السكرُ مداهُ

غنني شعري ملاكي غنني شعري الإله

أنا لا أطربُ حتى أسمع « الحبّ الحياه »

أياس [مغنياً] :

أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لرؤحيننا عن الحبّ غنى

غَمَّنَا فِي الشَّوْقِ أَوْ غَنَّ بَنَّا نَحْنُ فِي الْحُبِّ حَدِيثٌ بَعْدَنَا

**

رَجَعْتُ عَنْ شَجْوِ نَالِ رِيحِ الْخُنُونِ وَبَعَيْنَيْنَا بَكَى الْمَزْنُ الْهَتُونُ
وَبَعَثْنَا مِنْ نَفَاثَاتِ الشَّجْوَنِ فِي حَوَاشِي اللَّيْلِ بَرْقًا وَسَنَى

**

خَبَّرِي يَا كَأْسُ وَاشْهَدِي يَا وَتَرُ وَارْوِي يَا لَيْلُ وَحَدَّثِي يَا سَحَرُ
هَلْ جَنِينَا مِنْ رُبَا الْأَنْسِ السَّمَرِ وَرَشَقْنَا مِنْ دَوَالِيهَا الْمُنَى

**

الْحَيَاةُ الْحُبِّ وَالْحُبُّ الْحَيَاةُ هُوَ مِنْ سَرَحَتِهَا سِرُّ التَّوَاهُ
وَعَلَى صَحْرَائِهَا مَرَّتْ يَدَاهُ فَجَرَتْ مَاءً وَظِلًّا وَجَنَى

**

نَحْنُ شَعْرٌ وَأَغَانِيٌّ غَدَا بِهِوَ إِنْ رَاكَ الْبَيْدُ حَدَا
وَبَنَّا الْمَلَأَحَ فِي الْيَمِّ سَدَا وَبَكَى الطَّيْرُ وَغَنَّى مَوْهِنَا

**

مَنْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ ضَحِيًّا بِالْكَرَى أَوْ يَمْسُفُوحٌ مِنَ الدَّمْعِ جَرَى
نَحْنُ قَرَبْنَا لَهُ مُلْكَ الْهَوَى وَلَقَيْنَا الْمَوْتَ فِيهِ هَيْتَا

**

فِي الْهَوَى لَمْ نَأَلْ جُهْدَ الْمُؤَثِّرِ وَذَهَبْنَا مَثَلًا فِي الْأَعْصُرِ

هو أعطى الحب تاجي قيصر لم لا أعطي الهوى تاجي منا

**

موت: مرحى مرحى يحيا الفن

آخر: يحيا الشعر

ثالث: يحيا اللحن

[تقوم كليوباترا إلى شرفة فيتبها انطونيوس]

قائد روماني [لزميل من زملائه هامساً] :

هلا نظرت إلى الأميرة؟ إنها سكرى تعثر في خليع عذارها

آخر: وتأمل المفتون كيف جرى على آثارها وانجر في تيارها

آخر [لزملاته حيث يسمعه اوروس وأولبوس] :

وانظر إلى أوريوس في تودده يأبى الهتاف معنا لمولده

أولبوس [ساخراً] :

أوريوس ملء يومه ملء غده فتي تضح الحرب من مهنده

ويشتهي الأبطال فضل سؤدده قد راعني فناؤه في سيده

بمنفسه وقومه ومولده يغلو غلو الكلب في تودده

يُقَيِّدُ الكلب وراءَ مَرَصَدِهِ فيحرسُ الدارَ على مُقَيِّدِهِ
أوروس :

تلك الدَّعابةُ يا طيبُ ثَقِيلَةٌ فحذارِ ثم حذارِ من تَكَرَّارِها
لولا الوليمةُ والشرابُ وحرمةُ لأميرةِ الوادي السعيدِ ودارِها
لنزعْتُ من أقصى لها تلكَ مُضْغَةٍ كثرت على الأبطالِ في استهتارِها
أولمبوس :

أوروس !

أوروس :

أولمبوسُ صَهْ بَرَحَ الحَفَا ورأيتَ نَفْسَكَ في مفاضِ عارِها
ماذا خَبَّاتِ مِنَ السَّمُومِ لِلْمَلِكَةِ غفلتَ عن الأفعى وأومِ جوارِها ؟
إلا تكنَ عَلِمْتُ فَإِنَّكَ عِنْدَنَا جاسوسُ اكتافيو على أسرارِها
ما زالتَ مَذَوَفَدَتِ تَطْلُعُهُ عَلَى أخبارِ قيصِرٍ أو على أخبارِها
إِنَّا رَجَالَ الحَرْبِ لَيْسَ يَفُوتُنَا لحظُ العيونِ ولا خفيُّ حوارِها

[أولمبوس يحاول أن يتكلم فيمسك به قائد روماني ويهيمس إليه] :

أقصرِ أخِي إِنْ الجَمَاعَةُ عَرَبِدَتْ فَإِذَا جَلَّجَتْ لَقَتْ مِنْ أَنْظَارِها
إِسْلَمْ بِنَفْسِكَ فِي الظَّلامِ وَلَا تَتَرَّ رَيْباً أَخَافُ عَلَيْكَ غَيْبَ مِثَارِها



تلك الدعابة يا طبيب ثقيلة فيحذار ثم حذار من تكرارها

(صفحة ٥٠)

إني لأخشى الكأس أن تجري دمًا
فتصيب سيثًا من رشاش عقارها
أولبوس [لنفسه وهو ينسل إلى الخارج] :

أوروس! أنطونيو! احسبكم أغداً
روما الأبيّة لم تنم عن ثارها
[يخرج]

أنطونيو [من اقصى البهو] :

أما للرقص هيلانة	ة في ليلتنا حصّة؟
ألا نجتمع بين الكا	س والنغمة والرقصه؟
فهذي فرصة الأنس	وقد لا ترجع الفرصه
الراقصات يقيمنا	الراقصات يثبنا
ولا يدعن افتناناً	ولا يقصرن فنا

[تقوم الراقصات ، برقصه مصرية]

أنطونيو [قادمًا] :

مرحى مرحى	يحييا الفن	
يحييا الرقص		صوت :
	يحييا الحسن	آخر :
		أنطونيو :

قد انتصف الليل أوفوق ذاك
وآذننا بالمضي الدجى

ودونَ الحيامُ سرى ساعة
فهل تأذنين لنا يا ملاكُ
ولست أقولُ ملاكى الوداع
وعند الصباح تدور الرمح
فلا بد من سنة من كرى
ولكن أقول إلى الملتقى

كليوباترا:

مكانتك قيصر لا تذهبن
ولا تبرح القصر أهلك أسمى

انطونيو:

ذريني أعسى للقتال كتابي
ذريني أهسى للأحاديث في غدٍ
ذريني أزد تاجيك غار وقائمي
ولست أخاف الدارعين وإنما
وليس كمين الحرب ما أنا هائب
فلي في غدٍ شأنان في البر والبحر
فإن غداً يومٌ سيبقى على الدهر
وأقرن بعباني جلالهما نسري
ولكن كمين الغدر في ظلمة الصدر
أخاف فجاءات الحيانة والغدر

[لأخيل]

فيا قائد الأسطول هل من مكيدة
تدبر لي خلف الشراع وما أدري

كليوباترا:

إمض إلى الهيجاء أذ
إمض إلى الهيجاء أذ
طونيو كما يمضي الأسد
دونك في هذا الزرد

إمضِ إلى المجد ولا يُقعدك سُقْلُ في البلد
 المجدُ لا يَسْأَلُ عن صاحبةٍ ولا وَلَد
 أنت لروما في غدٍ وقيصرونُ بعد غد
 والشرقُ سلطاني الذي إكليله لي انْعَقِد
 ياليتُ سرٌّ، يانسرُ طرْعُ ظافراً أو لا تَسْعُد

« ستار »

[رابعا]

الفصل الثالث

« معبد في الاسكندرية ، يقم جداره المسرح إلى قسمين »
 « القسم الأصفر خارج المعبد وتنهض فيه شجرة باسقة ، والقسم »
 « الأكبر داخله وتظهر فيه حجرة الكاهن الأكبر أنوبيس »
 « وعلى جدرانها رفوف نسقت عليها حقائق وقوارير وهنا وهناك »
 « سرر وصناديق يشف بعضها عما فيه من أفع وحيات - باب »
 « خلفي يؤدي إلى المعبد . ونافذة جانبية تطل على الفضاء »

[في حجرة الكاهن أنوبيس]

أنوبيس [يناجي نفسه] :

يقولون أنوبيسُ وأوعُ بأفاعيه
 ومشغوفَ شعبانٍ من الوادي يُربيه
 وفي ناديه حَيَّات من الجن تُناجيه
 ولو ذاقوا هوى العلم كما ذقتُ قنوا فيه
 ألا يا ربَّ خداعٍ من الناس تُلاقيه
 يعيبُ السَّم في الأفعى وكلَّ السَّم في فيه !

[يخرج من الباب الخلفي]

[خارج الهيكل - تحت الشجرة - أنطونيوس وأوروس]
 أنطونيوس : أوروِس ! إنِّي جَهِدتُ مَشْياً ومَسَّني الضَّر والكَلالُ

فَمَلْ بِنَا نَسْتَرْحُ قَلِيلًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَدْهَمَ الرِّجَالُ
[يجلس أنطونيوس منهوكا على حجر فتأخذه الذكري] :

أُورُوسُ ، مَاذَا دِهَانِي ؟ حَتَّى تَسِيْتُ مَكَانِي
أَتَيْتُ مَا هَدَّ مَجْدِي وَحَطَّ رَفْعَةَ شَانِي
جَلَلْتُ نَفْسِي بَعَار يَبْقَى بَقَاءَ الزَّمَانِ
لَمَّا حَمَلْتُ جَوَادِي عَلَى الْفِرَارِ ازْدِرَانِي
وَضَجَّ مِنِّي سَيْفِي وَضَجَّ مِنِّي سِنَانِي
وَوَدَّتِ الْأَرْضُ تَحْتِي لَوْ طَهَّرْتَ مِنْ عِيَانِي
أَنَا الَّذِي كَانَ أَمْضَى مِنَ الْحَدِيدِ جَنَانِي
الْشَرْقُ يَدْرِي نِزَالِي وَالْغَرْبُ يَدْرِي طِعَانِي
كَانَ الْمَلُوكُ عَيْبِي فَصِرْتُ عَبْدَ الْحَسَانِ
وَلَسْتُ أَوَّلَ حُرٍّ لِمُسْتَعْبِدَتِهِ الْغَوَانِي

[يسكت لحظة ثم يستمر]

وَلَمْ أَرَ كَالْحَرْبِ اسْتِرَاحَ قَتِيلُهَا وَأَفْضَى إِلَى الْقَيْدِ الْأَسِيرِ الْمُقْبِدِ
وَلَكِنْ شَقِيَّ الْحَرْبِ وَالْمُصْطَلَى بِهَا
إِذَا انْفَضَّتِ الْحَرْبُ الطَّرِيدُ الْمَشْرُدُ

ولولا اختلافُ الحرب بالناس لم يَمُنْ^١
 عزيزٌ ولا يَنْزِلُ^٢ على القَيْدِ مَسِيدٌ
 أوروِس :

وقارك قيصرُ لا تجزعنَّ	وخلَّ المقاديرَ تجري المدى
تلقى الهزيمة ثبتَّ الجنان	كما كنت تلقى الفتوح العُلا
فما أنت أولُّ نُجمٍ أضاء	ولا أنت آخرُ نجمٍ خبا
وقد تنزلُ الشمسُ بعد الصعود	وتسقمُ بعد اعتدال الضحى
وبارُبِّ غارٍ عراه الجُفوفُ	على هامةٍ قد علاها البيلي
أمالك أنطونيوس أسوة	بيوليوس قيصر ابن انتهى؟
رأيتك والحرب تبلى الكُماة	فأشهدُ كنت إلهَ الوغى
وقد كان سيفُك غولَ السيوف	وكانت قناتُك غولَ القنا
وكنت إذا الموتُ أفضى إليك	تحدّيته فانتفى القهقري
وكان جنودُك شرَّ الجنود	عليك وخيرهم للعدي
فخانت أساطيلُ أمّلتها	وجيشٌ عَقَدَتْ عليه الرجا
وخلّفت في عسكري كالنعاج	كثيرِ الشِّغَاء قليل الغنا
فمن يأس مات قبل القتال	ومن خائن فرّ قبل اللقا

أنطونيو :

إذن لم أكن في الوغى بالجبان ولا خنت أوريوس عهد الهوى
وتشهد أني أنطونيوس وأني ابن روما وأني الفتى ؟
فإن عشت عشت نقي الجبين وإن ميتت ميت كريم الثنا

[يرى أنطونيو شبحاً فيسأل أوريوس مبهوتا]

أنطونيو : أوريوس !

أوريوس : مولاي

أنطونيو : تأمل من ترى ؟

أوريوس : هذا أوليبوس وقد حث الخطأ

أنطونيو : ترى إلى أين ؟ ومن أين أتى ؟

أوريوس : ها هو سار نحونا ها قد دنا

[يظهر أوليبوس]

أوليبوس : تحية قصير

أنطونيو : بل أنطونيو لا غير بل قل الشريد المقتفى

أوليبوس : لا تخدعوني قادراً وعاجزاً

أوليبوس : مولاي

أنطونيو : لست اليوم مولى أحد أكتافيو السيد والعبد أنا

مصرع كليوباترا

هل عن كليوباترا أولمبوس نبا؟
بقصر الثالث دُولة الهوى
ما لم يكن يصنعه بيّ العدا
وجيشها ألقى السلاح ونجا

مررت بالقصر فكيف ناسه؟
صرح ابن، قل غدرت، قل جدت
قد صنعت بي عند حاجة الوغى
أسطولها إلى مراسيه أوى

أولبوس : مولاي ! اغفني

انطونيو : تكلم لا تخف

إني أرى عليك روعه الأسي

أولبوس :

إن من الظن اتهاماً وأذى
رميت بالغدر أحب من وفى

مولاي مهلاً في الظنون واتسّد
أنت على مالك من مروة

انطونيو : ماذا تقول ؟

بطنعة الخنجر في صدر الضحي

أولبوس : كيلبترا انتحرت

انطونيو :

ولم ؟ وكيف كان ذاك ؟ ومتى ؟

بالسماء ! انتحرت ! أين ؟ أين ؟

أولبوس :

أجد له نظماً لا حسناً يرى

مررت بالقصر ضحى اليوم فلم

بدا لعينيّ خلاء موحشاً غير عويلٍ هاهنا وهاهنا
 انطونيو : انتحرت ! يا للخير ! ويا لقسوة القدر !
 إن الأمور انتقلت من خطرٍ إلى خطر
 ما غدرت وإنما أنا الذي بها غدر
 واخجلت من قولهم انتحرت وما انتحرا !
 إذهب ألبوس ودء نبي والموم والكدر
 ما يجراحات القلو ب للأطباء بصر
 [يذهب ألبوس]

[لروما] :

- روما حنائك واغفري لفتاك
 - روما سلامٌ من طريدٍ شارد
 اليوم يلقى الموت لم يهتف به
 إن الذي اعطاك سلطان الثرى
 إن الذي بالأمس زنت جبينه
 يارب تاج في جبينك زاهر
 - الأمهات قلوبهن رقيقة
 أوّاه منك واه ما أفساك !
 في الأرض وطنٌ نفسه هلاك
 فاع ولا ضجّت عليه بواكي
 لم تنعمي لرؤفاته بشراك
 بالغار عققك جهده وعصاك
 عطلت منه مفارق الأملاك
 ما بال قلبك لم يلين لفتاك !

أَعْرَضْتُ عَنِّي فِي الْحَيَاةِ فَرَحَةً
إِنْ كَانَ مَوْتِي كُلِّ مَا تَبْغِينِي
يَا أُمُّ، عُدْرُكَ فِي اتِّهَامِ بُنُوِّي
لَوْلَا الْجَمَالُ وَفَتْنَةُ مَنْ سَحَرَهُ
صَفْحًا كَلِيُوبَاتْرَا فَرُبَّتْ زَلَّةٌ
لَمَّا لَقِيتُكَ فِي الْجَمَالِ وَعِزَّةٌ
فَنَسِيتُ فِي نَادِيكَ ذِكْرَ وَقَائِعِي
سَجَدْتُ لِأَعْلَامِي الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
قَدْتُ الْجَحَافِلَ وَالْبُورَاجَ قَادِرًا
أَخْرَجْتَ أَمْرِي وَاخْتِيَارِي مِنْ بِيَدِي
خَلَّتْ السَّلَامَةُ فِي نَوَالِكِ فَذُقْتُهَا
عَادَيْتُ قَوْمِي فِي هَوَاكَ وَاضْرَمْتُ
وَشَرَدْتُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَجَدْتُ
أَغْدُو عَلَى سَيْفِ الْعُدُوِّ وَنَارِهِ
وَتَلَمَّسْتُ نَفْسِي السَّيُوفَ وَرَامَنِي
كَانَتْ حَيَاتِي لِلرِّجَالِ أَلِيَّةٌ

لا تحرميني في الممات رِضَاكَ
فَهَنَّاكَ! هَذَا أَمُوتُ، هَنَّاكَ!
بَادٍ وَعَذْرِي فِي الْعُشُوقِ كَذَاكَ
مَا حَلَّ فِي قَلْبِي هَوًى لِسِوَاكَ
قَدْ كُنْتُ تَغْتَفِرِينَ حِينَ أَرَاكَ
فَهَرْتُ قَوَايِ الظَّافِرَاتِ قُورَاكَ
وَسَلَوْتُ أَيَّامِي بِيَوْمِ لِقَاكَ
وَأَبَى مُهْنَدُ الْحُظِّكَ الْفَتَاكَ
مَا لِي ضَعُفْتُ فَقَادَنِي جَفْنَاكَ؟
وَتَرَكْتَنِي نَفْسًا بَغِيرِ مِثْلِكَ
فَإِذَا الْكُورَاثُ كُلُّهُمْ نَوَاكَ
رُومًا عَلَيَّ الْحَرْبَ مِنْ جَرَّاكَ
طَلَبِي عِدَايَ بِغَرِبِهَا وَعِدَاكَ
وَارُوحُ بَيْنَ مَكَامِنِ وَشَبَاكَ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ الْكَمِيِّ الشَّاكِي
وَالْيَوْمَ هُنْتُ فَأَقْسَمُوا بِهَلَاكِي

ولقد ذهبتُ من الظنون مذاهباً
حتى إذا حُمّ القضاءُ وراعني
ضحيتُ بالدنيا وقلتُ رخيصةً
فدَئمتُ عهدك واتهمتُ وفاك
عُطلُ المقاصر من بهاءِ حلاك
وبذلتُ أيامي وقلتُ فداك

أماناً إله الحرب ما أنت صانعٌ
لقد ذلّ من بعد امتناعٍ كأنه
صدت أكاليلي وحطمت صارمي
ولم تألني هدماً أو كنت بنيتني
ملأت سبيلي بالهوى وصروفه
تنكرت حتى اخترت لي معول الهوى
أروس غلامي، إن في النفس حاجةً

وعندي أقصى طاعة العبد فأمر : اوروس :

انطونيو :

أوروس أرى الدنيا بعيني اظلمت
وضاقت لي الأرض القضاء فكلها
غويت وأوفى بي على الحفرة الهوى
قشعريرة الخوف اعترتني ولم تكن
وكانت قديماً كالصباح المنور
سبيل طريد ضائع الدّم مهدر
فخفت، ومن ير كب شفا الجرف يذعر
إذا ما اقشعرت تحي الأرض تمتازي

ملئتُ من الأحداث رُعباً فضمي
 أرى الموتَ يمدود اليدينِ كمنقذٍ
 دعاني، ولو آني على النفس مُشفقٌ
 أروس، أرى الماضي يطفئُ خياله
 ذكرتُ بروما أربعي وملاعي
 وأيامَ يدعوني الهوى فأجيبه
 فتنتُ الغواني بوهةٍ وفتنتني
 فهمةٌ قلبي في شرابٍ وصبوةٍ
 أروس تُوافقنا على كلِّ غمرةٍ
 وفي مهرجان الفاتحين وعُرسهم
 فمالتُ بنا الدنيا فصيرنا بموقفٍ
 نرى الأرضَ فيه والسماءَ تناهتا
 فكيف مقامي يا أروس على الأذى
 اروس :

أجل قيصرُ اعتضنا من العزَّة
 فهنا كأنقاض الحصون على الثرى
 ومن حلية الأعلام عطل التنكر
 وضعنا عليه كالقنا المتكسِّر

نَهِيمُ كَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ وَطَالَمَا
وَمَا مَنَزَلَ الْأَبْطَالِ إِلَّا رَحَى الْوَعَى

أَخَفْنَا سَبِيلَ الْعَاهِلِ الْمُتَكَبِّرِ
إِذَا هِيَ دَارَتْ أَوْ رِوَاقِ الْمَعْسُكِرِ

أنطونيو : فماذا ترى أروس ؟

أروس : رأيك أول

وعندك ترجي نظرة الصدق فانظر

لقد عشت ظلالاً أرى غير ما ترى

ولا خير في الرأي التَّبِيعِ الْمَسِيرِ

أنطونيو :

أروس ، أنا الأعمى وانت لي العصا

فخذْ بِيْ مَامِ الْعَاجِزِ الْمُسْتَحْيِرِ

أروس :

أرى ما يراه العاجزون إذا جرى

على النفسِ تَحْتُمُومُ الْقَضَاءِ الْمَقْدَرِ

أنطونيو :

وماذا يقولُ العاجزون إذا ابتلوا

يقولون حُكْمُ اللَّهِ يَنْفَسُ فَاصْبِرِي

أروس :

أروس ، يقومُ العائرون وقلتها

يُقَالُ عِثَارُ الْكَوْكِبِ الْمُتَفَوِّرِ

أنطونيو :

أروس ، ألم تفهم ؟ هو الذل فاشفني

بِضَرْبَةِ سَيْفٍ أَوْ بِطَعْنَةِ خَنْجَرٍ

أروس ، ألم تفهم ؟ هو الذل فاشفني

بِضَرْبَةِ سَيْفٍ أَوْ بِطَعْنَةِ خَنْجَرٍ

فإنك حرٌّ إن فعلتَ وفائزٌ
بسيقي وأثواني ودرعي ومغفري
أوروس :

معاذَ خلالِ البرِّ مولاي! أعفني
وأنت الذي لو بيعَ بالروح وودَّه
لآلهة الرومان أشكوكَ قيصري
أجعلُ في الميزانِ حبي وطاعتي
لقد جاد لي بالسيف والدرع قيصر
[يطمئن نفسه بخنجره]

وُجدتُ بأيامِ الحياة لقيصر

انطونيو :

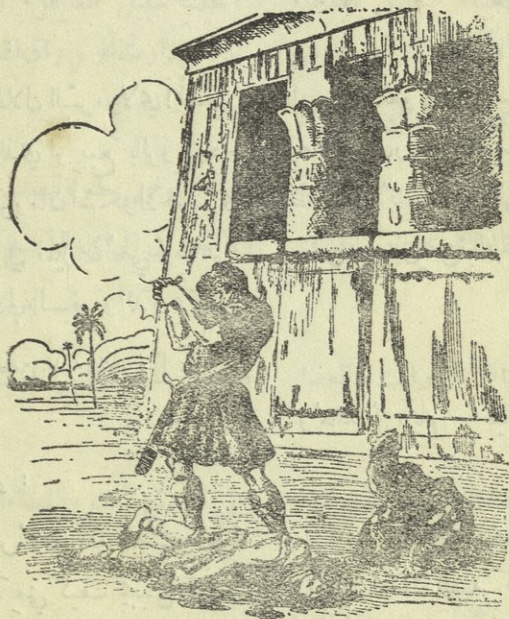
أوروسُ، عفواً قد ذهبتَ ضحية
وَجَنَى عليك ترددي الممقوتُ
فعلمتَ مِنِّي كيفَ يجِبُنُ قيصرُ
وعلمتُ منكُ العبدُ كيفَ يموتُ

[يطمئن انطونيو نفسه فيخر تلى الأرض جريحا]

[ينتقل المشهد إلى داخل المبد حيث يدخل انويس إلى حجراته ويتأجج أفاعيه]

انويس :

هلمَّ لكنَّ بناتِ التلال
وَجَنَّ الحُرَّابُ منْ صالِحجر
تبدَّلَ منْ حولِ لكنَّ المكانُ
وَأينَ القِفَارُ وأينَ الحَجَرُ



فعلت مني كيف يجين قبصر وعلمت منك العبد كيف يموت
(صفحة ٦٥)

يدُ العلم وهي حديدية
 وجاءت بكنّ إلى حجري
 أرا بني الناس في أمر كنّ
 وقيل أنوبس حاور تسيل
 وما فتيتي بجلودٍ لكنّ
 ولا بهياكل مثل العصيّ
 ولا بروس كدقّ الحصى
 ولكن أزاول علم السموم
 لقد كان لي في معاناته
 إلي أن نجحت، نعم قد نجحت
 فكم قد شفيت بطبي اللّديد
 فليل إله أعاد الحياة
 صنعت من السم ترواقه
 وأنتم والناس قد تلتقون
 حوتكنّ من جنبات الحفر
 أسارى القوارير رهن الصرر
 وصرت حديثهم والسّممر
 إليه الأفاعي إذا ما صفّر
 مرقّشة كاهاب النمر
 من اللحم لا من فروع الشجر
 ولا بعيون كوقد الشرر
 وعلم السموم جليل الخطر
 تجارب أنفقت فيها العمر
 وعاقبة الصابرين الظفر
 غ وأيقظت من نزع المحنصر
 إلى الميت أو خدن جنّ سحر
 وقد يختفي النفع تحت الضرر
 ففكنّ شرّ وفي الناس شر

أنويس [مستمراً] :

وتقتلن عني عيون السلاح ويقتل قاتلهم عن بصر
لسان ابن آدم أو فابكن كلا السائلين لعاب القدر
حاي : سلامً أبت

أنويس : حاي ؟ سلامً لك يا حاي

حاي : أمشغول أبي اليوم بذات القسوت والناب
وأنطونيوس مهزوم وأكتافيو على الباب ؟

أنويس [باستخفاف وهو يشير إلى أفي] :

حاي ، تفهقر ناحيه تلك الحبيثة داهيه

[يتفهرق حاي قليلاً بينما يلهو الكاهن أنويس بالحقاق والقواير]

تلك القواير وذو الحقاق غوث إلى مستنجد يساق

* لكل سم عندها ترياق *

أبني ، من للرعيه من لأوطاني الشقيه ؟

خل حياتك في الأس فاط واشعُر بالزيه

بعد حين تملأ الوا دي الأفاعي البشريه

أبتي نحن من اليو م عبيد القيصريه

أَدْنِ أَذُنَيْكَ عَلَى قَدِّ سَهْمَا مِنْ أَذُنَيْهِ
 وَاسْمِعِ الْبُوقَ كَتِجِدَ مِنْ أَحْرَفِ الرِّقِّ دَوْرِيهِ
 انويس : حابي، تقبل هذه القنينة واقبض عليها بيد ضنيته
 فأنها ذخيرة ثمينه !

حابي [لنفسه] :

يَا لَلسَّمَاءِ لَا بِي ؟ تَرَاهُ يَسْتَهْزِي بِي ؟
 وَبِحَالِهِ ، عَسَاهُ جُنٌّ أَوْ لَعْلَهُ نَبِي
 أَوْحَتْ لَهُ السَّمَاءُ عَلَّمَ غَيْبِهَا الْمُحْجَّبِ
 يَعْلَمُ مِنْ يُلْدَغُ مِنْ رَقَاطٍ أَوْ مِنْ عَقْرَبِ
 لَا حِيلَ لِنَّ حَقَّقَهُ مِثْلَ تِمَةِ الصَّبِيِّ
 يَا لَكَ شَيْخًا طَيِّبًا يَأْتِي بِكُلِّ طَيِّبِ !

[مخاطباً انويس الكاهن] :

رَبِّعَ الْحَمَى أَبِي فَكِيهِ فِ الْحَمَى لَمْ تَغْضَبِ ؟
 دَعِ الْأَفَاعِي وَاسْتَفِئِ بِالْأَفْعُوَانِ الْأَجْنَبِ
 الْوَطَنُ الْمَلْدُوغُ أَوْ لَى الْيَوْمَ بِالْمُسْطَبِّبِ

أنوبس : وأين كنت يا فتى وأين فتيات الحمى ؟
 وأين 'فرسان' المسقا ل هل مضوا إلى الرغى ؟
 أدرتم وجوهكم ساعة دارت الرحي
 تركتم أنطونيـو من أجلكم ملّ الحُسا
 من أجلكم ملّ الحُسا ما كان ضرّكم لو الـ
 ما كان ضرّكم لو الـ أبعد أن حلّ على الـ
 أبعد أن حلّ على الـ ولم يجِدْ من شبيه
 ولم يجِدْ من شبيه أتيتَ تدعوني كما
 أتيتَ تدعوني كما الرأي ليس نافعا
 الرأي ليس نافعا إذا أوانه مضى

[يدخل جند من حرس الملكة]

الجندي : مولاي ، ذات الجلالة

أنوبس : الملكة 'الآن عندي ؟

[تدخل كليوباتره في حاشيتها]

كليوباتره : نجمة يا أبتـ

أنوبس : سيدتي في 'حجرتي

مُري بما شئتَ يَكُنْ وإن تحدّى قدوتي

كليوباترا :

أبي، أعلمت أن الجيشَ ولىّ وأن بوارجي أبتِ المُضَيّا

انوبيس :

علمتُ وكان ذلك في حسابي وذا حايي به أفضى إلَيّا

كليوباترا :

وهل نبّاك عن انطونيوس وكيف جرت هزيمته عليّا

وما أدري أأردّوه قتيلاً صباح اليوم أو أخذوه حيّا؟

أبي ذهب الحليفُ فكن حليفي فقد أصبحت لأجيد الوليّا

أبي خفتُ الحوادثَ

لا تُراعي : كلباةُ النيل ليس تخافُ شيئاً

كليوباترا :

أبي لا العزلَ خفتُ ولا المنايا ولكن أن يسيروا بي سبيّا

أبو طأ بالناميم تاجُ مصرٍ وثمتَ شجرةٌ في مفرقيّا؟

انوبيس [باستخفاف] :

لأتِ المقاديرُ أو فلتندِرْ تعالي كليوباترا ألقي النظرُ

كليوباترا :

أفاعٍ؟ أبي، فخها، اخفيها؟
فماذا تريدُ بإحرازهنَّ
أعودُ بإيزيسَ من كلِّ شرٍّ
وهل يقنني عاقلٌ ما يضرُّ؟

انويس :

أتيتُ بهنَّ لدرس السموم
أداوي بها أو بترياقها
ولم أخلُ في علمها من نظر
'محب' الحياة أو المنتعير

كليوباترا [كأنما تحدث نفسها] :

محب الحياة أو المنتعير !

كفى أيها الشيخُ إبلهاتِ زِدْ
وإن تكُئي خشيةً في النساءِ
فما بي خوفٌ ولا بي حورٌ
نكلمُ فليست سمومُ الأراقِ
فلي جرأةُ المملكاتِ الكبرِ
في الحبثِ دون سمومِ البشرِ
فلما ترَوَّوا سقوني الكدرِ
فياربَّ صفو سقيت الرجالِ

انويس :

قصارٌ وهنَّ سهامُ المنونِ
تمسَّ الفريسة مسَّ السنانِ
وليس يعيب السهامُ القصرُ
وكلَّ الذي لمستْ مقتلُ
وتمضي مضاء الحسام الذكورِ
ولو انشبت نايها في ظفرُ
كذلك يجرحُ سهمُ القدرِ
إذا جرحتْ لم تقم عن دمٍ

ومائتُها لا يُحِسُّ المنونَ كمن مات في النوم لا يجتضر
كليوباترا [مرددة قوله في صوت خافت] :

ومائتُها لا يُحِسُّ المنونَ كمن مات في النوم لا يجتضر!
ولكن أبي هل يُصانُ الجمالُ؟

انويس :
كليوباترا :

وهل يطفأُ اللونُ ؟

انويس :
كليوباترا :

وهل يبطل الموت سحر الجفون ويُبلي الفتورَ ويُفني الحورَ ؟

أنويس :

كعهد العيون بطيف الكرى إذا الجفنُ ناء به فانكسر

كليوباترا :

أبي والشفاهُ ؟

أنويس :

لواقى الذبول كما احتضر الأقحوان النضر
وما الموت أقسى عليها فمأ ولا قبةً من عوادي الكبير

كليوباترا :

وما عَصَةُ النَابِ ؟

أنويس :

وَحَزْزٌ أَخْفٌ وَأَهْوَنٌ مِنْ وَخَزَاتِ الْإِبْرِ

كليوباترا :

وما شَبَّحَ الموت ؟

أنويس :

ماذا أَقُولُ ؟

تَمْلَهُ لِي كَأَن قَدْ حَضَرَ

كليوباترا :

أنويس :

وَعَظُمَتْ مِنْ خَطْبِهِ مَا صَغُرَ
وَعَصْفُ الرَّدِيِّ بِسِرَاجِ الْعُصْرِ
عَلَى قُبْحِ صُورَتِهِ فِي الْفِكْرِ
وَإِنْ جِيءَ كَانَ حَبِيبَ الصَّوْرِ

زَعَمْتُ ابْنَتِي الْمَوْتَ شَخْصًا يَحْسُ
أَهْوَ مَا هُوَ إِلَّا انْقِفَاءُ الْحَيَاةِ
وَلَيْسَ لَهُ صُورَةٌ فِي الْعَيُونِ
إِذَا جَاءَ كَانَ بَغِيزَ الْوَجْهِ

كليوباترا :

فَصْنُهَا وَأَحْسِنْ عَلَيْهَا السَّهْرَ

إِذْ هَذِهِ الرَّقْطُ فِي ذِمَّتِي

وأقسم لتأت إلي بهنّ ولو أن دوني الظّبا والشمّر

أنويس :

يمينا بايزيس أحملهن إليك وفي سلال الحُصَر
إذا بات في خطر تاج مصر رَسِبتُ إليك بهنّ الحُطَر

كليوباترا :

أتجعل لي يا أبي آيةً أميزُ الرسولَ بها إن حضر؟

أنويس :

هو التين أبعث حابي به وبالرقط بين عُضون الشمر

ابنتي ذلك محمرا بي ادخليه للصّلاه
واسكبي الدمع عني أن يقبلَ الدمعَ الإله
هو ذو الملك الذي يبقي ويفني ما سواه

[خارج الهيكل - ثلاثة جنود رومانية]

الجندي الأول : تحميا روما تحميا قيصر

الجندي الثاني : روما العُظمى أبداً تنصر

الجندي الثالث : ماذا؟ ما فوق الطريق؟ ما أرى؟

ميلارفيقيّ معي لننظرا

الأول : هناك مقتولان ضَرَجَا الثرى
 الثاني : نعم أرى ثم دما وخنجيرا
 وهيكّنين من حياة أفقرا
 الثالث : جِبِّتَارُ يا مصرِّف الحروب بارِكْ لنا في هذه الجيوب
 وابعثْ لنا بالذهب المحبوب

الأول : يا عجب الأقدار! أنطونيوس؟

الثاني : أنطونيو! أجل وذا أوروس!
 وأحسب السيد مات بيده ثم هذا العبد مثال سيِّده
 لهفي على أنطونيو في مرقده

[يثن أنطونيو ثم يحرك رأسه ويتبين الجنود]

أنطونيو :

ويحي أخي أنا جريحٌ ؟ ماذا يُريدُ القضاءُ ماذا
 جنودُ أكتاف أدركوني باليتني متّ قبل هذا

جندي :

لا بل جنودك لكن خانوك حُبّاً لروما
 آخر : وما تسوك عليهم تحت اللاسواء زعيما

ترمي بهم مَطْلَعُ الشَّمْسِ أو تَوَّمُ النُّجُومَا
أنطونيو :

يا جنودي وصحائي ليس ذا وقت العتاب
أتركوني وعذائي

[يغمى عليه]

جندي :

لهفي عليه عادة الأغماء وأوشكت تنزفه الدماء
وليس إسعافٌ وليس ماءٌ

آخر :

هَلُمَّا احملاه هَلُمَّا احملَا وجيشنا بمولانا الهيكلا
وأمضي فأبلغ أكتافيوالا حديث أعرفه المنزلا

[في حجرة الكاهن - كليوباترا والكاهن والحاشية عائدتين من المحراب]

كليوباترا :

أبي دخلت ونفسي حيرى الزمام حزينه
وقد تركت المصلّى وميل قلبي سكينه
إن الصلاة على شدة الزمان مُعِينه

[يسمع صوت جندي من الخارج]

كليوباترا :

ما تسمعون أضيخوا شرّ وهذا بريد

كان الضجيج بعيداً والآن يبدنو بعيداً
حاي :

أسمعتم اضجةً صاحبةً وجريخ وجنود في الطريق
هاهم قد دخلوا الدار به
أنوبيس :
حاي :

هاهم قد حضروا
يا منجياً أعدوا كان أم كان الصديق
أنوبيس :
[يدخل الجنديان اللذان يحملان أنطونيوس]

كليوباترا :
وينح ماذا ترى ؟ ومن المح
أيا الجند ما بأيديكم اليو
جندي :
كليوباترا :
أفتدرون من حملتم ؟

جندي :
حملنا
هيكلا عز في الرجال ضريبا
ونضا صارماً ولاقى الحروب
[تأمل كليوباترا في وجه الجريح]

كليوباترا :

آه أنطونيو! حبيبي ادر كوني بطيب
 ماترون الأرض تروى من دم الليث الصيب
 أبني، أين قوى طباك والسحر العجيب
 هو في إغماءة الجرح فنبهه بطيب
 هو ذا يفتح عينيه ويضعي لنحبي

انويس [محاولة إسعاف الجريح] :

تلك أنفاسه توالى وهذا
 هو ذا قد تخلّجت شفتاه
 أيها الملكة ارفقي بجريح
 لا تناديه بالدموع مراراً
 جسمه لا يزال غصاً رطيباً
 وتميماً لسانه ليثوباً
 بات تحت الرداء جرحاً صيباً
 ربما ضرّ جرحه أن يجيباً

انطونو :

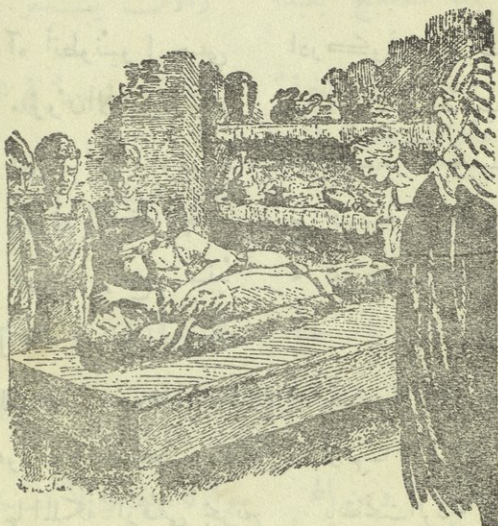
كيليبترا! عجب! أنت هنا! لم تموتي.. هم إذن قد كذبون

كليوباترا :

سبدي روحي حياتي فيصري أنت حي؟

بعد حين لا أكون

انطوليو :



آه انطونیو حبیبی ادرکونی بطیب

(صفحه ۷۹)

كليوباترا :

من تعاني كذبا ! من قالها لك !

أنطوني :

أولمبوس النذل الخؤون

قال ماتت فتجرت المنون

مر فاستوقفته أسأله

من ثناياك العذاب الشبهات

يسدل الموت عليها الظلمات

من أولي الرحمة وأهل الشّات

في الهوى تحت لواء الحب مات

[يسلم الروح]

كليوباترا زوديني قبلة

وأضيئي بسناها مقلة

سيقول الناس عني في غد

بطل لم تظفر الحرب به

كليوباترا :

ض وميزات الشعوب

وجلالا في الغروب

ري جروحي وندوبي

ن عن الدنيا ذهوبي

ليس ودي بالمشوب

ليس وعدي بالكذب

قد تداعى محور الأرم

مال كالشمس جمالا

أيها المجروح لو تد

أيها الذاهب قد آ

أيها الخالص ودا

أيها الصادق وعدا

عن قريب ينطوي القبر رُ علينا عن قريب
كَلَلُوهُ بالرياحِ بن وبالغار الرطيب
واهتَفُوا في أَذُنَيْهِ بأناسٍ الحروب

**

واحبيباه، جاءه الموت فاستس لم لا يستطيع إلا ذهوبا
كان ما خفت أن يكون وحلت تكبة لم تفاجئ المذكوبا

[تستوي قائمة]

أيها الجنود مات قيصر فابكوا معي السيد الجسور الوهوبا
شبيكو اساعديه من فوق صدر كان في الرّوع بالمنايا رحوبا
واعرضوا سيفه على راحتيه واركزوا الرمح من يديه قريبا
لا بل امضوا شأنكم جند روما ودعوني وسيف روما السليبا
أنا وحدي له ديارٌ وأهلٌ إن دعا داره ونادى التسيبا

[ينسحب الجنود]

وبح لي قد طلبت عند طباع الدنيا اس ما عَزَّ عندهم مطلوبوا
خَلَقَ الناسُ للقويّ المزايا وتجنّوا على الضعيف الذنوبا
واحتقوا في الحياة والموت بالغا لب فانظر هل عظموا مغلوبا
شيعوا الشاة جيفةً بمُدهم واتقوا وهو في الرّمام الذيبا

انويس :

الوقارَ الوقارَ يا لبناءَ النيدِ ل ولا تجعلِي الزَّيْبَ النجيبا
وقفي للخطوب في عزّة الملاء لك وفي كبره تُذلي الخطوبا

[يدخل جندي من جنود اكتافيوس]

الجندي :

قيصر اُكتافيوسُ آتي يعودُ أنطونيوسُ قيصرُ

كليوباترا :

قيصر ! فرّ الأسير منه مَنْ في حمى الموت ليس يُؤسر

[يدخل اُكتافيوس ومعه جنود]

اُكتافيوس :

سلامٌ مملكةَ الوادي سلامٌ كاهنَ الملكِ
يقولُ الناسُ أنطونيو هنا لم يبتعدْ عنك

كليوباترا :

نعم لم تفترقْ بعد وإن أmeen في تركي
وهذا الجسد الفاني جلاءُ الرّيب والشك

اكتافيوس :

إذْ قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَصَارَ اللَّيْثُ لِلْهُلْكَ
كَلِيبَاتْرَةَ لَا تَخْشَى فَلَنْ آخِذَهُ مِنْكَ !

كليوباترا :

أَيَّ تَهْزَأُ أُمُّ بَالْمِيَّةِ تِ أُمُّ بِالْمَوْقِفِ الضَّنْكَ
إِنْ اسْتَطَعْتَ عَلَى مَا لَكَ مِنْ بَطْشٍ وَمِنْ قَتْكَ
وَمَا حَوْلَكَ مِنْ خَيْلٍ وَمَا تَحْتِكَ مِنْ 'فُلْكَ
فَخُذْهُ مِنْ يَدِ الْمَوْتِ وَمِنْ عَاجِزَةٍ تَبْكِي !

[يدنو جندي من جنود اكتافيوس ليتحقق موت انطونيوس]

كليوباترا :

مَكَانَكَ يَا عَبْدُ لَا تَهْتِكُنْ عَلَى سَيْدِ الْمَالِكِينَ الْقِنَاعُ
تُرِيدُ لَتَكْشِفَ عَنْهُ الْغِطَاءَ عَسَى تَحْتَهُ حِيلَةٌ أَوْ خِدَاعُ
عَبَسْتُ بِهِ وَهُوَ تَحْتَ الطِّيلِ سَ مُلْقَى السِّلَاحِ قَلِيلَ الدِّفَاعِ
وَلَمْ تَحْتَشِمِ 'بِقَعَا مِنْ دَمٍ عَلَيْهِنَّ تَحْسُدُ مَصْرَ الْبِقَاعِ
رُؤْيِدَكَ، مَا الْمَوْتُ مُسْتَبْعَدٌ وَلَا هُوَ مُسْتَعْرَبٌ مِنْ شِجَاعِ
وَإِنْ التَّائُوتَ فَعَلُ الثَّمَا بَلِيسَ التَّائُوتِ فَعَلُ السَّبَاعِ

اكتافيو :

أَنَا تَكِ سِيدَتِي إِنَّهُ
أَرَادَ لِيحْتَاطَ لِي جُهْدَهُ
تَنَحَّ أَخَا الْجُنْدِ مَا أَنْتَ وَالْمِيه
أَتَأْذَنُ سِيدَتِي أَنْ أَطِيعَ
وَمَنْ كُنْتُ تَحْتَ الْقَنَا ظِلَّتْهُ
وَكُنَّا نَشِيدُ لِرُومَا الْفَيْخَارَ
وَنَأْتِي الْقِيلَاعَ فَنَحْتَلُهَا
وَنَزِ كَزُفِي السَّهْلِ أَرْمَاحَ رُومَا
بِإِذْنِكَ ؟

كليوباترا :

قِمِصْرُ لَا إِذْنًا لِي
تَصَرَّفْ بِجُثْمَانِهِ كَيْفَ شِئْتَ
وَمَا جُثَّةُ اللَّيْلِ إِلَّا لَقَى
أَيْنِى وَيَأْمُرُ مَنْ لَا يَطَاعُ ؟
تَفَلِيسَ لَهُ الْيَوْمَ مِنْكَ امْتِنَاعُ
إِذَا النَّابُ طَاحَتْ أَوْ الظُّفْرُ ضَاعُ ؟

[يتقدم اكتافىوس فيرفع القناع عن وجه انطونيو]

اكتافيوس :

لقد حسَم الموتُ ما بيننا
فمن حَقِّي اليومَ بل واجب
أَقْبِلْ ما قَبِلَ الغارُ من
كواهتفُ : أنطونيوسُ الوداع

[ستار]

الفصل الرابع

« في القصر الملكي ، في غرفة العرش ، شرفة مطلة على
« البحر . كليوباترا متكئة على حافة الشرف ، شرميون
« وهيلانة في أقصى الحجرة تهمر من عينيها الدموع »

كليوباترا [كأنما تناجي نفسها] :

وَتَفَرَّدْتُ بِالْأَلَمِ	نَامَ « مَرْكُو » وَلَمْ أُنَمْ
لَقِيَ الْمَوْتَ فَالْتَأَمَ	لَيْتَ جُرْحِي كَجُرْحِهِ
قَتَلَ الْمُفْرَدَ الْعَلَمَ	فَاتَلَ اللَّهُ مَاضِيًا
سَاعَةً وَانْقَلَبَ الْقَدَمَ	أَنْطَوَانُ أَنْفُضَ الْكَرَى
وَأَشْرَبَ الرَّاحَ بِالتَّغَمِ	فَمَ كَأَمْسٍ اغْنَمَ الْهَوَى
وَتَمَتَّعَ مِنَ التَّيَمِّ	وَتَخَيَّرَ عَلَى الْمُنَى
وَتَغَلَّبَ عَلَى الْأَمِّ	وَاعْمَرَ الْأَرْضَ بِالْقَنَا
دُ وَوَثَبًا إِلَى الْقِمَمِ	وَقَدَّ الْحَيْلَ فِي الْوَهَا
إِنَّمَا كُنْتُ فِي حُلُمٍ !	أَيُّهَا الْعَيْنُ ابْصِرِي

[ملتفتة إلى شرميون] :

يا شرميون بلغنا موثقاً حرجاً
لم يبقَ ثقبٌ رجاء كنت ألحجه
لا الرأيُ ينفعنا فيه ولا اليأسُ
إلا تعرّضَ حتى سدّه اليأسُ

[تلقي نظرة على الاسكندرية من الشرفة]

نجمي يُجدِّثني بوشك أفوله
وشئتُ بركَ جدولا وخميلةً
وأنا اللِّبابةُ وقد ملأتك غابةً
قد خفتُ من بهدي عليك بمالكا
يأتين زرعك بالرياح عواصفاً
فإذا الحضارةُ بعد طول بناها
شميون :

بإيزيسَ سيدي بالولاء
بالي بيابك من خدمة
على أي وجهٍ أدرت المصير
فهذا السكونُ يُثيرُ الشكوكَ
وماذا اعترمتُ؟ وماذا كتمتُ؟
ولي في حياتك رأيٌ يُساقُ
كليوباترا :

إذن فاذكري أن خصمي العتيد
وليس الذي يشتهي لي الحياةَ
يخافُ انتحاري ويخشى الهربَ
ولكن له في حياتي أربَ

له في غد موكبُ الفاتحية
يَجْرُونَ في رومةَ الأرجوانِ
وتزدانُ بالغارِ هاماتهم
يُحاولُ قيصرُ مني المُحالَ
يريدُ ليَعْرِضَني في غد
ويفضحُ مصرَ وسلطانها
لقد ساءَ تدبيرُ أكتافيوسَ

ن إذا أقبلوا في جلال الغلب
وقد بَرَزَتْ في الثياب القُشْبُ
إذا ارتفعت في المجلس اللجِب
ويذهب في غير وجه الطلب
على شعب روما كأني سَلَب
وتاجَ العصور وعرشَ الحَقَب
ولم يَلقَ من خُدعتي ما أحب !

[تسمع وطء أقدام]

ماذا وراء الباب ؟

شرميون :

حسن قادم

أجل ديبُّ حارس أو خادم

هيلانة :

كليوباترا :

بل حارسٌ جافٍ
مُعْرِيدُ الخطو
لا تسمعُ الأرض
من حَرَسِ القصرِ
من نشوة النصر
رجليه من كبر

شرميون :

ملئكتي دعي هذه الفِكرَ
جندُ رُومةٍ يَعْبُدُ البِيدَ
في سبيلها يركبُ الفِرَرَ

كليوباترا :

شرميون هه إنه حضَرَ

[يدخل حارس]

الملكة : ماذا وراء الجندي ؟

رسالة من عبد

الحارس :

هل تأذنين ؟

أدّ

الملكة :

الحارس : أيها الملكة قد جا
في ثياب الحقلُ حلوا
جادلُ الحرّاس في حذ
يبدعي أن أباه
قاله بسنتان تين
إلى القصر غلام
ش كل بمشوق القوام
ق أورفق بالكلام
كان عبداً للمقام
من أياديك الجسام

فهو يُهدي لك باكو رتته في كل عام
الملكة [هامة] :

شرميونُ ذاك حابي وجناه في يمينه
جاء في المِيقَاتِ يُهدي لي باكورةَ تينهِ

[للحارس]

ألا تَقْبَلُ يا حارس س مني هذه البَدْرَه؟
الحارس: بشكران وهيهات
الملكة: والآن لو نَحْضِرُ لي الفلاحا لعله يُحَدِّثُ لي انشراحا

إني نسيت البَسْطَ والمزاحا
الحارس: على السمع والطاعة سأتيك به الساعه

[يخرج الحارس]

الملكة: يا شرميون تعلمي الدنيا ويا
هيلانة اختبوي الزمان القاسي
إن التي حُرست بأبطال الوغى باتت تصانعُ سِفْلَةَ الحراس

[يدخل حابي في ثياب فلاح ومعه حارس]

هيلانة [همساً] :

حابي نعم وتلك نظرته وهذه مشيئته وخطرته
يا ليت شعري ما تكون سَلْتَنَتُهُ ؟

حاي : تحيةٌ للملكة ونعممةٌ وبركةٌ

ونفسُ عبدها لها وكلٌّ ما قد ملكه

سبيدي جئتُ إلى بحرك أهدى سمكه

أحملُ تيناً ولو اسـ تطعتُ حملتُ مملكه

حاي : سبيدي

الملكة : أدنُ فإنه ابتعدُ وقُلْ فما يسمعُ غيرنا أحدُ

حاي : سبيدي

الملكة : حاي ، أنوبسُ اجتهدُ لنا وأنجز الغداة ما وعدُ !

يُريدُ أن يشفيني بما أجد وأن يقي مملكتي عار الأبد

جئتُ كما يأتي لوقته المدد

وفيت لي حاي ولم تكن تفي ضع السلال وانصرف لابل قف

حتى ترى كيف يكون موقفي

[تلقي نظرة على السلال]

مالي مُلئتُ من المنية رهبةً إن المنية في رقاب الناس

آسى الجراح جزعتُ عند لقائه والنفسُ تجزعُ من لقاء الآسى

إني طويتُ بساطَ كل مُدامة
يا خادمي بل ابنتي تلتطفأ
فعمسى يُغشيني نَشِيدَ الموت أو
لم يبقَ إلا شربُ هذي الكأس
في المِثْثِ حتَّى تأتيا بأياس
نغمًا أجود عليه بالأنفاس
شرميون :

مَلِكْتِي نَادِي أَيْاسَا
هو في المقصورة الأخ
فكره فيك ولا يجي
إنه بالقرب منك
رى مع الباكين يبكي
سرُّ أن يسأل عنك

الملكة :

يا وبيح صَحبِي بعد طول سرورهم
جِئْتِي بهم يا شرميون لينظروا
فعدوا إلى أحزانهم ييكونا
جَلَدِي فِيَهْدَأُ بعضُ ما يجدونا

[تخرج شرميون]

كليوباترا [تنحي على زنبقة في اصيل] :

زنبقة في الأنيه
جنت عليها غربة ال
وبدلت من سعة الر
يسقونها من جرّة
ضحية الأنايه
أمر الأكف الجانية
بنوة ضيق الباطيه
بعد العيون الجارية

الملكة

يا جارتا شأنك لا يُشبهُ إلا شأنه
لم يبق من ملكي العرب ض غير دار خاويه
وكلنا ذابله عما قليل ذاويه
زال النعيم وفرغ ما من حياة فانيه

[ترجع شرميون ومعهما أياس وأنشو وغيرهم]

الملكة [إلى أنشو] :

أنشو يعز عليّ أنك سامه
أنشو ألقول يسر وضحكة
قد كان أيسر ما صنعت يسرني
أنشو : سيدتي جرى بما
من لا تسره السما
الملكة : أياس، هل من صوت ؟
يبدو عليك الهم والتفكير
إن السعيد الضاحك المسرور
أعلى سروري اليوم أنت قدير ؟
فيه سرورك القدر
لا يسره البشر
غن نشيد الموت

[أياس يغني هذا النشيد]

يا طيب وادي العدم
لم تمش فيه قدم
أنا فيه لجبيبي
من منزل من منزل
للنزل وادي خل
وجبيبي فيه لي

**

يا موتُ ميل بالشِّراعِ واحملْ جريحَ الحياةِ
سِرْ بالقاعِ السِّراعِ إلى سُطوط النِّجاءِ

**

شِراعُك الفِضِّي في بُجَّةِ التَّيْبِري
كالحُلُمِ في الغَمَضِ يجري ولا يجري

**

في ظلِّ ليلِ ساجٍ أقسم لا يسري
مُغَلِّلِ الدِّيباجِ مُطَيِّبِ السِّتْرِ

**

في يقظةٍ يَظهرُ لي أم أرى حُلماً
فَلَكَ مِنَ الجَواهرِ يَخْتَرِقُ الظُّلماً

**

على الدجى لَمَّاحٍ تحسبُهُ نجماً
ليس به مَلَّاحٍ يسلكه البِصْبَا

**

أضوى من الفجرِ في ظُلمةِ الأَسَدافِ
من نفسه يجري لم يُجرِه مِجْدافِ

مَدَّ شِرَاعَ النُّورِ يَا حُسْنَ مَا مَدَّا
كَلَّاؤُاؤُ الْمَثُورِ لَوْ يَنْفَحُ النَّدَا

يَا لَكَ مِنْ زُورَقٍ مَلَّاحِهِ الْأَقْدَارُ
يَنْجُو بِهِ الْمُفْرَقُ مِنْ جُلَّةِ الْأَكْدَارِ

[يدخل الحارس]

الملكة: ما وراء الحارس ؟

الحارس: الطاعة يا ذاتَ الجلالة

قائدٌ يَحْمِلُ مِنْ قِي صَرَ أَكْتَافُو رِسَالَةٍ
الملكة: أَدْخِلْهُ ، أَدْخِلْ رَسُولَ قَبْصَرِ

[يخرج الحارس ويدخل القائد]

القائد: قَبْصَرُ الْعَالِي إِلَى سَبِيحَتِي يُهْدِي التَّحِيَّةَ

هو فِي الثَّكْنَةِ بِالْقَرْ بَ مِنْ الدَّارِ السَّيْنَةِ

يُظْهِرُ الْعَطْفَ عَلَيْهَا وَهِيَ بِالْعَطْفِ حَرِيَّةَ

وَيَقُولُ الْأَمْرَ مَا تَأْ مُرُّ فِي الْأَسْكَندَرِيَّةِ

وَلَهَا الْوَادِي وَمَا يَح حِلُّ مُلْكَا وَرَعِيَّةِ

وبنوها يَرِثُونُ	مُلْكَ من روما الوصيه
وإذا حَلَّتْ بروما	وجدت روما حَقِيَّتَهُ
تَتَلَقَّاهَا كَأَعْلَى	درة في القيصريه
ما الذي تَقْتَرِحُ الْمَلِكُ	كَلِمَةً ما تُعْطِي عَلَيْهِ
لِتَقْلُ سَيِّدَتِي حَا	جَتَهَا تُقْضَى الْعَشِيَّةُ

كليوباترا [كأنما تناجي نفسها] :

وإذا حلت بروما	وجدت روما حقيقه !
تتلقاها كأعلى	درة في القيصريه !

[تضحك في تهكم والم]

أَيُّهَا الْقَائِدُ أَذِي	تَ فَأَحْسَنْتَ الْأَدَاءُ
بَلِّغْنِي قَيْصَرَ عَنِي	كُلَّ شُكْرٍ وَدُعَاءِ
ثُمَّ زِدْ أَمْنِيَّةً قَدْ	بَقِيَّتْ لِي وَرَجَاءِ
أَنَا لَا أَكْتُمُهُ مَا	سَرٌّ مِنْ أَمْرِي وَسَاءِ
لِي سَرٌّ كَادَ عَنْ نَفْسِ	سَيِّئِ يَزْوِيهِ الْخَفَاءِ
صُنْتَهُ عَنْ صَاحِبَاتِي	وَصَحَابِي الْأَمْنَاءِ

حبذا لو زارني قه صرُّ في هذا المساء
وله الشكرُ إذا لم يأتِ إن هو جاء

القائد :

سأذكرُ مولاتي لمولاي قيصر
ولم لا يلبثي دعوة الحسن طائعا ✓
وقد كان يوليوس يقومُ ببابه
وَيُمَثِّلُ أنطونيوسُ في العتبات!

كليوباترا [بظمة]:

أسأتَ أخا الرومان فهم إشارتي

إذن كفهي لي تلك من هفواتي

القائد :

[يخرج القائد]

كليوباترا :

أراني لم يحسن إليّ معاصري
فكيف إذا ما غيب الموتُ ذاتي
كأنني بعدي بالأحاديثِ مُلِطت
وبالجيل بعد الجيل يروي زخارفاً
يقولون أنشأ أنت العمر بالهوى ✓
ولم أجد الانصافَ عندِ لِداتي
وبدّد أنصاري وفضَّ حماتي!
على سيوتي أو وُكِّتَ بحياي
فمن زور أخبارٍ وإفك رُواة
بهميمة اللذات والشهوات

فدأ لغرامي بالرجال وحسنهم
فليس الغلام البارع الحسن فتنني
ولم يستثرو جدي من الروم فتية
ولا كل غصن من بني مصر مائل
يموتون بي عشقاً ويشقون بالهوى
ولكن عشقت العبقريّة طفلة
كلفت بكهل أحرز الأرض سيفه
إذا هب من غرب البلاد تلقّت
تعثّر حظي بعد طول سلامة
ومن يمش في ورد الأمور وشوكها

غرام الغواني أوهى الممكات
ولا الرائع الأجلاد والعضلات
جنون العذارى فتنة الحفريات
بطير إليه قلب كل فتاة
فكم من حياة في يدي وممات
وفي الغافلات البله من سنواتي
وحيزت له الدنيا من الجنبات
بلاد بأقصى الشرق منذعات
وأفلق نجمي بعد طول ثبات
بعد الخطأ أو بحسب العثرات

[تنظر إلى السلال]

يا مرحباً بالسِّلّة والرقب المِطْلّة
الكافياتي الذلّة

[ينسحب الجميع مطرقين ما عدا الملكة ووصفتها وحاني]

كليوباترا:

أدخلي بي يا شرميون على طف
لي أودّ عنهم الوداع الرهيبا

فقسام إذا تحجب صدي وجدوا صدرك الحفي الرحبا

[لحاني وهيلانة] :

ولدي اهجروا القصور فاني قد وجدت النعم فيها غريبا
ولها ضجة وفيها فضول يوهق الحب واشيا ورقبا
خلتيا عنكما المدائن يا بني فضوضاؤها تمت القلوبا
إن لي في سهول طيبة حقلا طيب الماء والهواء خصبا
غرسنه يد الشباب فأضحى وارفا كالشباب حسنا وطيبا
ألف الحب من نواحيه أنسا جمع الطير هاتفا ومجيبا
يسمع البلبل العشيقة فيه وتغنّي الأليفة العندليب
أفئق لا يظلل إلا محبا وثرى لا يقل إلا حبيبا
إشربا من كرومه واسقياها صافي الحب والهوى المسكوبا
والعبا عند كل ماء غدير تريا الماء للحباب لعبا
وسلا الورد هل تنفّس في الور دوهل ناسم البعيد القريبا
أدر كالأذّة الشروق ولما تبلغ الشمس بالحياة الغروبا

[تخرج كليوباترا وشرميون]

حاي :

هيلان، هذا مقال النصيح من ملكِ
 ها، هم طيبة نـنـزول في خـمائلها
 كطائر ين على بحرٍ وعاصفةٍ
 تدار كـتـنا أبو المالكاتِ بهِ
 فما تـوئـن وما تـنـوئـن هيلانا
 ونـبـنـ مثل بناء الطير دُنـيانا
 قد آتـسـا من وراء الشـطـطـبـستـانا
 وأشرفُ الناس إحساساً ووجداناً

هيلانة :

حاي، عرفت الحلال الطيبات لها
 وكنـت أـمـس أـقـلّ الناس عـرـفـانا
 حاي :

خـلـسي الجـفـاء حياي إن ساعته
 الله يشهدُ أني قد سـدـلتُ على
 وانني اليوم أبـكـيها وأندُبها
 اليوم ضحيتُ وزكـاها الفـداء كما
 مضتُ وهذا أوانُ السـلم قد آنا
 ما كان من نزعات الرأي نسيانا
 ولا أقيسُ بها في الطهر إنسانا
 زكـى المقربُ باسم الله قربانا

هيلانة :

إن التي شب في نـعـماها صغري
 إن لم أمت دونها أو لم أمت معها
 ونـبـهت لي سـلـطانها سانا
 فما جـزيتُ عن الاحسان إحسانا

حاي :

والحب هيلان ؟ ماذا تصنعين به

هيلانة :

إن الصداقة فوق الحب أحيانا ✓

وأرى المفجعة واقعة

فعسى يرد الفاجعه

أم أبي ذلك القدر

كُ إلى طيبة السفر

[يخرج حاي]

أنت ساحيا فنلتقي

منه قبل التفريق

[تدخل كليوباترا وفي اثرها شرميون]

كليوباترا :

صغارٌ ورأي ذوق البتم نوح

حملت عليهم ما يحيل ويفدح

فلا المجد يرضى لي ولا النبل يسمع

وإني لأرجو أن تغضوا وتصفحوا

بروحي وإن لم تبقى مني بقية

أذوب لبواهم وأعلم أنني

وقد أشتهي عيش الذليل لأجلهم

فصفحاً صفاري إن شقيتم بمصرعي

وَدَاعاً صغاري صَبَّرَ اللهُ يُتَمَكِّمَ
أَطْفَتُكُمْ والنومُ تُسْرِي سِنَاتُهُ
وما منكمُ في الحَزْزِ إِلَّا حَمَامَةٌ
تَنَامُ وما تَدْرِي الكَرَى ما وراءَهُ
أَتَعْدُوا على الدنيا كأَمْسِ طَلِيقَةٌ
[ملتقطة إلى هيلانة شرميون] :

فَإِذَا هِيلَانَةُ تُبَكِّكِي
كَفَكِكِي الدَّمْعَ فَلَا تَدْنِي
وَأَعْلَمَا بِذَنبِي أَنْ أَلْ

[تركع أمام قتال إيزيس]

الْيَوْمَ أَقْصَرَ بِاطْلِي وَضَلَالِي
وصحوتُ من لعب الحياة ولهوها
وتلفقتُ عيني فلا بمواكبي
وطِئْتُ بِسَاطِي الحَادِثَاتِ وَأَهْرَقْتُ
إِزِيسُ يَنْبُوعُ الحَنَانِ تَعْطِئُ فِي
أَنْتِ الَّتِي بَكَتِ الْأَحِبَّةَ وَاشْتَكَتْ
إِنِّي وَقَعْتُ عَلَى رَحَابِكَ فَارْحَمِي
وَحَلْتُ كأَحْلَامِ الكَرَى آمَالِي
فَوَجَدْتُ لِلدُّنْيَا خُمَارَ زَوَالِ
بَصُرْتُ وَلَا بِكَتَائِي وَرَجَالِي
كَأَمِي وَفَضَّتْ سَامِرِي وَنِقَالِي
وَتَلَفَّتِي اضْرَاعِي وَسَوَالِي
قَبْلَ الْأَرَامِلِ لَوْعَةِ الْإِرْمَالِ
ذُلُّ الْمُلُوكِ لِحُجْرِكَ الْمُسْتَعَالِي

وأحُثَّ عن دار الشقاء رِحالي
أو ضيقَ ذَرْعٍ أو قطيعة قالي
ومتعتُ من عبقرِيٍّ جمالي
وَقَرَنْتُ رَحْبَ خيالها بجمالي
فبسطتُ سلطانِي على الإبطال
ما كنتُ من أُمِّي سوى تمثال
وأخذتُ كلَّ خديعة وِحال
واقفستُ في صَدْيِها وِوصالي
وغَوَتْ فأغوثني وذل ضلالي
فجعلتُ لذاتِ الهوى أشغالي
فيه الحياةَ وليلتي بليالي
ما جل من بؤس ورقة حال
صدر الصبا ورأى المكاره آلي
واليومَ تَضْرِبُنِي بدرس غالي
بك أن يُسابقَ واقعَ الآجال؟

هل تأذنين بأن أعجِّلَ نُقْلتي
وعُلاكِ ما أدعُ الحياةَ جبانةً
اني انتفعتُ بعبقريِّ جمالها
وجمعتُ بين شعورها وعواطفي
— ووجدتها قد خلّدتُ أبظالها
— بنتُ الحياةَ أنا وتشهدُ سيرتي
— منها تناولتُ الرِّبَاةَ وِرائةً
— وقسوتُ قسوتها ولنتُ كليتها
ولربما رشدتُ فسِرتُ برُشدها
ووجدتها حبًّا يفيضُ ولذةً
بومي بأيامٍ لكثرة ما مشت
— ولقد لقيتُ من الحياةَ صبيبةً
— فخلعتُ مُلْكِي طفلةً وشردتُ في
شرعتُ عليَّ السَّوْطَ في كتابها
— ياموتُ هل حَرَجٌ عليَّ مُستنجد

يومي أعجله ولو لم انتحر
— ياموت أنت أحب أسرا فاسبني
— ياموت لا تطفئ بشاشة هيكلي
— ياموت طف بالروح واسرقها كما
— حتى أموت كما حييت كأنني
— وكان إغماض الجفون تناعس
— سر بي الى انطونيو في نضرتي
للقيت يوماً ما له من تالي
لا تعط روما والشيخ عقالي
واحفظ ظواهر لحني وجلالي
سرق الكرى عين الحلي السالي
بيت الخيال ودمية المثال
وكان رقدي اضطجاع دلال
ورواء جلبابي وزينة حالي

[تقوم إلى إحدى السلال فتكشف التين عن افهي]:

هلمني الآن منقذتي هلمي
شربت السم من فيك المفدتي
على نابيك من زرق المنايا
وبعض السم ترياق لبعض
✓ دعوت الراحة الكبرى فلبت
هلمتي عانقي أفعى قصور
سقطت روما على ملكي واهت
وأهلاً بالخلاص وقد سعى لي
بسلطاني وزدت عليه مالي
شفاء النفس من سود الليالي
وقد يشفى العضال من العضال
فبعداً للحياة وللنضال
بها شوق إلى أفعى التلال
جواهر أسرتي وحلي آلي

فرمت الموت لم أجبن ولكن
 فلا تمشي على تاجي ولكن
 وقد علم البرية أن تاجي
 يطالبني به وطن عزيز
 أدخل في ثياب الذل روما
 وأدج بالشماعة عن يميني
 وألقى في الندي شيوخ روما
 وأغشى السجن تاركة ورائي
 وتحكم في روما وهي خصمي
 يراني في الجبائل مترفوها
 إذن غير الملوك أبي وجددي
 سأنزل غير هائبة إذا ما
 أموت كما حيت لعرش مصر
 حياة الذل تدفع بالمنايا
 لعل جلاله يحمي جلالي
 على جسد بطن الأرض بالي
 نمته الشمس والأمر العوالي
 وآباء ودائعهم غوالي
 وأعرض كالسبي على الرجال؟
 ويعرض لي التهم عن شمالي؟
 مكان التاج من فرقي خالي؟
 قصور العز والغرف الحوالي؟
 وتسرف في العقوبة والنكال؟
 وقد كان القياصر في حبالي
 وغير طرازهم عمي وخالي!
 تلمظت المنية للنزال
 وأبدل دونه عرش الجبال
 تعالي حية الوادي تعالي

[تتناول الأنمي وتمهد لها من صدرها فتدغها ثم ترميها إلى السلة]

يا ابنتي وُدِّي .. هلمّا زيناني للمنيه
 غلّاني .. طيّباني .. بالأفاريه الزكيه
 الدساني حلة تغ جب أنطونيو سنيه
 من ثياب .. كنت فيها ألقاه صبيه
 فاولاني التاج تاج الشّمس .. في ملك .. البريه
 وانثرا .. بين .. يدي .. عر شي .. الربا .. حين البهيه

[تموت بين وصيفتها]

شرميون [تناول من إحدى السلال أفعى] :

كليوباترا ويا لهفي عليك يا كليوباترا
 وصيفاتك في الدنيا وصيفاتك في الأخرى

[وتمهد لها من صدرها فتلدغها وتموت]

هيلانة [تفعل ما فعلته شرميون] :

كلوبترا ذهبت اليو مَ بالدنيا كليوباترا
 تعالي أيا الأفعى أريحيني أنا الأخرى

[يدخل أنوبيس وحاني]

أنوبيس :

انسلت المهرّة من قيدها وأفلت الطير من الصائد !

٤٥/١
 ٥٥/٢
 ٥٥/٣

حابي :

هيلانَ ، يالهفأ على الحبيبة على الجمال وعلى الشبيبة
على الفتاة الحرة النجيبة

[يتحسس جسمها]

يا للحياة ماتني ديبيا أبي ، تأمل جسمها الرطيبا
واسمع تجدد لقلبها وجيبا

أنويس :

حابي نسيت حقة النجاة!

هيات أعصيك أبي هيات
إن أنس أشياءك أنس ذاتي !

حابي :

[يخرج الحقة من جيبه]

خذها

أنويس :

بل اسكب في فم الفتاة
لعلها تصحو من السبات

[يشغل حابي بإيقاظ هيلانة]

أنويس [على جثة كليوباترا] :

بنتي رجوتك للضحية والفدا
فوجدت عندك فوق ما أناراجي



بنتي رجوتك للضحية والفدا فوجدت عندك فوق ما أناراجي

(صفحة ١٠٨)

إن تصبّحي جسداً فنفسك حرةٌ وعُلاك سالمةٌ وعرضك ناجي
سيقولُ بعدك كلُّ جيلٍ مُنصف ذهبْتُ ولكن في سبيل التاج
[ثم يلتفت إلى جثة شرميون] :

وأنتِ أيضاً شرميونُ جيفهُ متٌ ولكن مِيتةٌ شريفهُ
ما أعظمَ المسلكةَ والوصيفهُ !

حابي : أدنُ أي ألقِ النظرُ يا لعجائبِ القدرِ !
انوبيس : أحدث تِرياقِي الأثرُ ؟

حابي : أنظرُ أي تِرياقك الـ محسن ماذا منحا ؟

أنظرُ فهذا مَلَسكي من رقدةِ الموتِ صحا
قد فتحَ العينينِ بعد د اليأس من أن تُفتَحَا
وهذه أنفاسُهُ رِيحانُها قد نَفَحَا

مولاي قد قرّبتَ من سعادتي ما نَزَحَا
أنت الذي رَدَدْتَهَا رُوحاً وكانت تَبْشَحَا
يا قلبُ كيف لم تطِرْ عن الضلوع فرحا

ميلانة : يا وبيح لي ! وبيحَ ليهِ هل صدّقْتَنِي عَيْنِيهِ ؟
حابي ، أفي الدنيا أنا ؟

حابي : بل أنتِ دنياي هنا

هيلانة : منذا حنى عليه حتى بُعثتُ حية ؟

حابي : أبي الذي شفاك يا ملاكي

أنويس : لا بل ملاكُ الحب قد شفاك

وأدُمعُ الإخلاص من فتاك

هيلانة : أبي لقد مرَّ عليَّ الموتُ وكنتُ من عذابه نَجَوْتُ

علامُ حُلَّتْ بينه وبينِي ؟ الموتُ لا يُذاقُ مَرَّتَيْنِ

[ترى جثة الملكة وهي تتلفت]

رحمك آلهة الوادي ذهلت فلم

بالأمس ، لا ، لا بل اليوم التحقت به

لقد رحلنا عن الدنيا الغرور معاً

ليت الطبيب الذي داوى فأخرجني

مليكتي ، ربي ، صفحاً ومغفرة

الكاهن : بُنييتي ...

هيلانة : صه أبي ،

الكاهن : لا أنتِ واهمة

فلستُها في مُلاقة الردى شرعاً

وقفتم موقفاً في الخطب مختلفاً لو جرّبت فيه غير الموت مانعاً

حابي : تعالي نخي في الحقل
هلمسي الحب هيلاند
أني دونك باركننا
مع الطير كما تحب
ة فالحب هو الدنيا
وإن شئت فشاركنا

أنويس : إذا فارقت محرابي
سأبقى ها هنا ابني
هالماً ابني باسم الـ
هالماً جنة الوادي
لئن فرقنا الدهر
فمن يبكي على مصر ؟
إلى أن أقضي العمرا
هـ سيرا وابنيا الوكرا
هالماً طيبة الغرا
فقد تجمعنا الذكرى

[يخرجان]

[يسمع صوت بوق] :

أنويس : البوق دوّى قيصرُ أقبلُ

[يدخل حارس]

الحارس : مولاي قيصر

[يتنحى عن الباب ويدخل قيصر وفي معيته الطبيب أولمبوس]

أنويس :

ما يبتغي قيصرُ من أسيرته ؟ إن التي أعدّها لزينة

يَدْخُلُ رُومًا وَهِيَ فِي كَتِيبَتِهِ تَوْبِدُ فِي مَوْكِبِهِ وَقِيمَتُهُ
مَاتَتْ وَلَمْ تَنْزُلْ عَنْ مَشِيبَتِهِ بُورِكْ فِي النِّيلِ وَفِي عَقِيلَتِهِ

قيصر :

آلهة الرومان ! ماذا أرى ؟ إمراةٌ تَسْخَرُ مِنْ قَائِدِ
قد أبطلت كيئدي على ضعفها ولم تولِ تَسْخَرُ بالكائِدِ
في الجسد الحيّ قَتَلْتَهَا لم أبغها في الجسد البائِدِ ✓

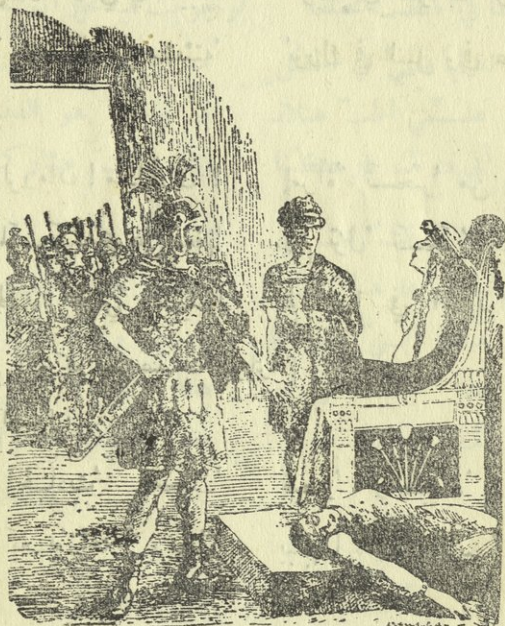
[يركع قيصر عند جثة كليوباترا]

أنوبيس [لنفسه] :

الحادثُ العجيبُ قيصرُ والطبيبُ !
يَعْدُرُهَا وَعَهْدُهُ ببابها قَرِيبُ

أكتافيو :

عجيبُ يا طبيبُ أرى قتيلاً ولكن لا أرى أثرَ الجراحِ !
أليست في الفناء أرفّ لوناً وأندى من رياحين الصباحِ
فهل تدنو فتكشف كيف ماتت أبالسم الزّعاف أم السلاح ؟
[يقترب أولبوس وينحن على صدر الملكة من الناحية التي رُميت فيها الأفعى]



عجيب يا طبيب أرى قتيلاً ولكن لا أرى أثر الجراح!

(صفحة ١١٣)

المبوس :

جبين مُشرقُ القُرّةِ ووجهٌ ضاحكٌ تَضَرّةُ
وعيناتُ كأنَّ المو ت في جفّينها كَسْرَة
وهذا فمُّها تبدو الـ منايا عنه مُفْتَرّةُ
ولكن قيصرُ ادنُ انظرُ هنا السرُّ هنا العبوة
فبين السّحر والنّحر كمثّل الحَدش من إيوه
مكانُ النّاب من صِلِّ شديد البأس والشّرّةُ

[تلدغه الأفعى]

إلهي ، قيصري ، آه لقد مَسَّتْ يدي جمرّةُ
سرى السمِّ بأعضائي وعَمَّتْ جسدي فَتْرَة
وجاءت سَكْرَة الموت فلا صَحّو ... من السّكره

[ثم يسقط ميتا]

أكتافوس :

ويل النفوس من 'فجاءات القدر' !
وويحَ المبوس بالأفعى عَثَر

أنويس [لنفسه] :

قد وقع الحافرُ فيما قد حَفَر

قيصر :

وَدَاعَاً كَلِيوْبَتْرَا إِلَى يَوْمٍ نَلْتَقِي
عَمَّا الْمَوْتُ أَسْبَابَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَنَا
وَمَا اسْتَحْدَثْتَ عِنْدَ الْكِرَامِ شِمَانَةً
وَدَاعَاً وَإِنْ نَحْنُ اقْتَتَلْنَا وَجَرَدْتَ
تَحْدِيدَتِي بِالْمَوْتُ حَتَّى قَهَرْتَنِي
تَوَقَّعْتَ عَن قَيْدِي وَمُتَّ عَزِيزَةً
وَأَنْتِ الَّتِي نَازَعْتَ رُومًا مَكَانَهَا
تَلَعَبْتَ بِأَنْطُونِيوٍ وَبُولِيُوسَ حَقِيقَةً
وَمَا أَنَا إِلَّا سَيْفُ رُومَةٍ بَاتَرَا
زَجَرْتَ فَلَمْ أَسْمَعْ فَقَاتَلْتُ مَكْرَهًا
وَأَنْطُونِيوٍ صَهْرِي الْكَرِيمَ بِمَثَلِهِ
وَدَاعَاً عُرُوسَ الشَّرْقِ كُلِّ وَلَايَةٍ

وَتَنْفُضُ عَنْهَا الْهَامِدِينَ الْمَقَابِرُ
فَلَا الثَّأْرَ مُلْحَاحٌ وَلَا الْحَقْدُ ثَائِرُ
صُرُوفِ الْمَنَابِيَا وَالْجُدُودِ الْعَوَاثِرُ
حُسَامِيْنَهَا أَوْطَانُنَا وَالْعَشَائِرُ
وَمَا لِي سُلْطَانٌ عَلَى الْمَوْتُ قَاهِرُ
وَأَيْدِي الْمَنَابِيَا لِلْقِيُودِ كَوَاسِرُ
وَجَرَّتْ بِنَادِيكَ الْقِيُودَ الْقِيَاصِرُ
كَمَا جَاءَ بِالْمَسْحُورِ أَوْ رَاحَ مَاحِرُ
أَصِيبَ بِهِ سَيْفُ رُومَةٍ بَاتَرُ
وَفِي الْحَرْبِ إِنْ لَمْ تَرُدَّعِ السَّلْمَ زَاجِرُ
يُطَاوِلُ أَنْسَابَ الْمُلُوكِ الْمُصَاحِرُ
وَإِنْ هَزَّتِ الدُّنْيَا لَهَا الْمَوْتُ آخِرُ

[يُخْرِجُ أَكْثَانِيُوسَ وَحَاشِيَتَهُ وَتَرَفَ التَّحَايِلَ مِنْ الْأَبْوَاقِ وَالْحَنَاجِرِ خَارِجَ الْقَصْرِ]

أنويس :

اكثري أيها الذئاب عواءً وادعى في البلاد عزاً وقهراً
 أنشدي واهتفي وغني وضحني واسبحي في الدماء ناباً وظفراً
 لا وإيزيس ما تملكت إلا وادياً من ضياغم الغاب فقراً
 قسماً ما فتحتهم مصر لكن قد فتحتهم بها الرومة قبرا

« ستار الحتام »

نظرات تحليلية

كليونباترو والتاريخ :

في عصر من عصور التطور السياسي الدائم على عرش مصر ، وفي النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد ، احتكت عظمة الامبراطورية الرومانية بالسياسة المصرية القديمة ، وطوت في هذا الاحتكاك آخر صفحة من تلك المدنية الزاهرة التي اصطفت بها مصر في ظل البطالسة وتحت حكمهم أكثر من ثلاثة قرون .

وجاء دور المؤرخ ليسجل أبناء هذا الاحتكاك فكان من

حظ العلم :

(أولا) أن استقى هذا التاريخ مادته من مصدرين كانا كل وسائل التاريخ القديم . فالمصدر الأول آثار يعرض لها عادة في مثل هذه العواصف السياسية المضطربة غير قليل من التزييف والضياغ . والمصدر الثاني رواة يجتهدون في رواية الحوادث اجتهدا ، فيخطئهم التوفيق أحيانا ، فيروونها لا كما كانت ولكن كما اشتها أن تكون .

(ثانيا) أن نهضت بهذه المهمة الخطيرة أقلام ، إما رومانية وإما مدنية لروما هوى أو ثقافة ، فسجلت هذه الأقلام تاريخ هذا الانتقال السياسي في أسلوب قصصي ، فاز فيه قبصرة

الرومان بأكاليل الغار كلها، فالظاهر من بينهم بطل، والتخذول منهم ضحية، وللضعيف على كل ما فعل أو أسف علل قوية من هوى هذه الأقلام في حين أن الملكة المصرية المظلومة - كليوباترا - الممثلة الأخيرة لمجد البطالسة ورسالاتهم، والتي سوّى على حساب سمعتها وكرامتها وأقول نجمها هذا الحساب الخطير، لم تصب منه إلا ركاما من التبعات والآثام واللعنات.

ظهرت حية النيل العجوز - كما نعتوها - في هذا التاريخ، وعمدته «بلوتارخوس»، وفي معظم الروايات التي استوحته واستقت من معينه، في مظهر امرأة خطالة متهمة في عفتها من حيث هي امرأة، وفي جلالها وإخلاصها لبلادها من حيث هي ملكة، مجرد...

«...أننى أفنت العمر بالهوى بهيمية الذات والشهوات»

خاضعة في كل أدوار حياتها السياسية لشهوة مذبذبة، تدفع بها رخيصة إلى كل صاحب مجد أو جاه، متصلة - ما اتصلت في هواها - ببطل، منفصلة - ما انفصلت - عن «حطام مبعثر مستباح» دأبة البحث عن فريسة جديدة تستل آمالها، وتسلبها جلالها، وتهبض من جناحها المخلق في سماء المجد والحلود... وعجيب أن تقفر حياة كهذه الحياة الحافلة بالمآسي إلا من هذا

الركن الدنس ، وعجيب أن لا يرى أولئك القصاص في هذه النفس الطموح ظلاً لأمل خير أو حلم نبيل ، وعجيب أن تجثم في كل ناحية من نواحيها رذيلة تهب المداد لهذه الأقلام !

مرمى الرواية :

أليس المؤلف المصري إزاء هذا الاضطهاد الصارخ لهذه الملكة المصرية ، بحكم الثلاثة القرون التي قضاها أجدادها العظماء على ضفاف النيل ، مستقلين عن كل نفوذ أجنبي ، أبرياء إلا من العمل المتصل لمجد مصر ورفاهتها ، مستحيلة دماؤهم قطرة فقطرة إلى دماء مصرية خالصة على توالي الأيام . أليس المؤلف المصري في حل - مادام البحث العلمي يكشف بين الحين والحين في هذا التاريخ المتهم عن حلقات ضائعة أو أوهام أنزلت فيه منزل الحقائق - من إنصاف هذه المصرية المضطهدة ، ولو إلى الحد الذي يتفق مع هيكل هذا التاريخ المجرد ، ولا يجرمها على الأقل من سمو الغاية ونبالة المقصد ؟

أعتقد أنه ليس في حل من هذا الإنصاف فقط، ولكنه مسئول عنه إلى أن يصل البحث الحديث في تقرير حقيقة التاريخ القديم إلى آخر مداه فيعز من يشاء ويذل من يشاء .

على هذا الأساس يضع مؤلفنا المصري اليوم في « مصرع
كليوباترا » صورتين جديدتين : إحداهما لتاريخ كليوباترا في قليل
من التحوير المنطقي المعقول لتاريخها القديم ، والأخرى لحياة
(C) كليوباترا حريصاً فيها على أن تحاط بنفس الجوّ الظنين الذي يحيطها
به رواة التاريخ القديم ، مانحاً إياها الحق الأكبر في الدفاع عن نفسها
وعن سياستها وعاطفتها ، غير تارك لسواها من أشخاص الرواية
إلا حظاً ضئيلاً من هذا الدفاع ، وهو إذ يمنحها هذا الحق دون سواها
من أشخاص الرواية إنما يحرص أولاً على أن يترك لأولئك الأشخاص
مطلق الحرية في تجديد هذا الجوّ الظنين ، وثانياً على ألا يقسو
في مس الكرامة العامة للتاريخ ، وثالثاً على أن يترك الباب مفتوحاً
لتحقيق ما لهذا الدفاع من وجهة في نظر البحث الحديث المنصف .

كليوباترا في نظر التاريخ القديم :

ولدت كليوباترا سنة ٦٩ قبل الميلاد ، وكانت على أن تبني
بأخيها الأكبر وتتولى العرش معه ؛ فنوزعت في هذه الشركة ،
ففرّت إلى سوريا لتعبد جيشاً هناك تستعيد به تأجها المفقود .
وهناك صادفها يوليوس قيصر ، فوقع من نفسه ، فمكثها من
العرش شركة مع أصغر أخويها ، فما لبثت أن قتله مسموماً وتبعته
قيصر إلى روما فاحتفي بها حفاوة أثارت سخط الرومان .

وقتل قيصر فتوددت كليوباترا أي الصفين تتبع : أصف
 وارتبه أم صف الموتين فيه ، حتى إذا تم النصر لحلفاء قيصر على
 قتله دعاها أنطونيوس إلى طرسوس لتقدم حساباً عن هذا التردّد
 المقصود ، وقد لبث دعوته فسارت إليه في موكب بحري فخم تجلّت
 فيه روعة الشرق وجلاله وغناه ، وكانت يومئذ في الثامنة والثلاثين
 من عمرها على أبهى ما كانت من سحر وفطنة وجمال ، فلما لبث
 أنطونيوس أن رآها حتى افتتن بها وضحى في سبيلها بمكانه وكبريائه ،
 وأخيراً بملكه ومطامعه وحياته ، وقضيا الشتاء التالي في الاسكندرية
 في غرام نسيانها فيه كل شيء ، وعلى أن أنطونيوس قد رجع إلى روما
 وتزوج من أكتافيا شقيقة أكتافيوس ، فقد عاد إلى كليوباترا وأقام
 معها وسخاها ولأبنائها بالعطف والتكريم ، وفي نشوة هذا الجنون
 كان اسمه يتضاءل في روما ، وكانت قواه السياسية والحربية تخور .
 وفي سنة ٣٠ قبل الميلاد اشتبك القيصران في وقعة أكتيوم
 البحرية ، وكانت كليوباترا بطبيعة الحال تؤازر بأسطولها أسطول
 أنطونيوس ، ففرت أثناء المعركة وفرّ في أثرها حبيبيها المفتون ،
 وبذلك كتبت عليهما الهزيمة الأولى ، ثم اشتبك الجيشان في معركة
 برية على أسوار الاسكندرية ، وكاد النصر في أولها يؤتي أنطونيوس
 ثم سرعان ما تنكر له وتم عليها الخذلان الأخير .

وحاولت كليوباترا أن تأسر بيجهاها القيصر الظافر ، وأن تفعل به ما فعلت بأنطونيوس ، فاشتركت معه في مفاوضات لصالحها الخاص ، وأرسلت إلى أنطونيوس من أوحى إليه بموتها ، فاتكأ على ظبة سيفه حتى إذا علم في احتضاره كذب هذا الوحي ، أمر أن ينقل إليها حيث جاد تحت شفتيها بالنفس الأخير . وأيقنت كليوباترا بعدئذ أن القيصر الظافر إنما يخدعها عن نفسها ، وإنما يريد لها سارة ممتازة في موكب انتصاره ، فانتحرت تاركة وراءها بنتين من أنطونيوس كفلتهما أكتافيا ، وولدا من يوليوس قيصر (قيرون) قتل في عهد أكتافوس ، وجسداً هامداً ضمّه القبر إلى رفات أنطونيوس ، وذكريات حية خالدة ...

فضن عن الملوك والقواد وسرن وحي شاعر وشادي
وفتنة السيراع والمداد

وجوه الاختلاف الأسامي بين الحوادث التاريخية
والحوادث الروائية

ههنا من هذه الحوادث إزاء الرواية ما تناول الأيام الأخيرة من حياة كليوباترا ، تلك الأيام التي لم تتناول الرواية سواها ، فنرى : (أولاً) أن فرار كليوباترا من وقعة أكتيوم كان جيناً وغدراً في التاريخ :

ونرى أثر هذه النظرية التاريخية في الرواية حيث يعتب
أنطونيوس على كليوباترا :

وقلت انسجبت ضعفا وقال الناس بل غدرا
في حين أن هذا الفرار في الرواية جزء من سياسة كليوباترا - وسوف
نسطها بعد قليل - ويدل على ذلك وعلى روح هذه السياسة
قول كليوباترا .

فتأملت حالتي مليا وتدبرت أمر صخوي وسكري
وتبينت أن روما إذا زلت عن البحر لم يسد فيه غيري
كنت في عاصف سلكت شراعي منه فانسلت البوارج إثري
(ثانياً) أن التاريخ لم يذكر أن جيش كليوباترا فر من المعركة
البوية بينما سجل المؤلف هذا الفرار في الرواية تمشياً مع السياسة
التي اختطتها كليوباترا لنفسها ، وفي ذلك يقول أنطونيوس :

أسطولها إلى مراسيه أوى وجيشها ألقى السلاح ونجا
(ثالثاً) أن كليوباترا هي المسؤولة أمام التاريخ عن انتحار
أنطونيوس بينما يبرئ المؤلف من هذه التهمة ، ويخلق شخصية
خيالية يلقي عليها هذه التبعة ، هي شخصية الطبيب أوملبوس ، ونرى
ذلك حيث تتساءل كليوباترا في لوعة ولهفة :

من نعاني كذبا من قالها لك

وإذ يجيبها أنطونيوس :

« أولمبوس النذل الخؤون »

وحيث نسمع أولمبوس في الفصل الثاني من الرواية مهتداً ناقماً :
أوروس أنطونيوس حسابكماغدا روما الأبيسة لم تتم عن ثارها
وحيث نلمس مكنن الحيلة بين هذه النقمة وذلك الانتقام .
(رابعاً) حاولت كليوباترا تاريخياً أن تتصبي عدوها الظافر ،
وأن تغدر حبيبها المخدول ، ثم انتحرت عندما فشلت هذه السياسة ،
والمؤلف ينزهها عن هذا الإسفاف ، ويجعل أوّل لقاءها لأوكتافيوس
وأوّل اتصاله بها عقب مصرع أنطونيوس ، ثم يجعل من هذا
الاتصال مفاوضات ، ويجعل في هذه المفاوضات خداعاً من
قبصر وإياء من كليوباترا ، فلا تصبي ولا محاولة إيقاع في غرام ،
ثم يجعل انتحارها حرصاً على تاج مصر أن يذله العرض في روما من
ناحية ، وذلك إذ نقول :

سطب روما على ملكي
فرمت الموت لم أجبن ولكن لعل جلاله يحمي جلالي
فلاتشي على تاجي ولكن على جسد بطن الأرض بالي
ووفاء لأنطونيوس من ناحية أخرى وذلك إذ نقول :
أيها الذاهب قد آ ن عن الدنيا ذهوي

من

أيها الحالص ودّا ليس ودّي بالمشوب

... ..

عن قريب ينطوي القبر علينا عن قريب

صورة تحليلية لأهم أشخاص الرواية

كليوباترا

ما فتىء المؤلف منذ مطلع الرواية إلى مقطعها يؤكد جنسية كليوباترا المصرية وإن تحدّرت من نبعة أجنبية ، فقد كان الزمن الطويل الذي قضاه أجدادها في مصر - كما أسلفنا - كافياً لتمصيرها .

وعبث أن نختار من الرواية قطعة دون أخرى لإثبات هذه الجنسية ، فالرواية كلها دليل متصل ، نسجل منه على سبيل المثل قولها :

أموت كما حييت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجبال
وقولها :

موقف يعجب العلاء كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر
ثم قولاً آخر احتال فيه المؤلف على تبوير هذه الجنسية ، متحاشياً في هذا التبوير إلا مجرد التلميح من بعيد لدمها القديم ، وذلك إذ يقول حابي لزينون :

أخي هذا أتيني وخلي ذلك مقدوني

... ..

كلا الحلين ذو جدّ بأرض النيل مدفون

فليس في هوى مصر وفي طاعتها دوني

وتصوّر الرواية كليوباترا من نواح ثلاث يستحسن أن نبينها

منفصلة : الأولى من حيث هي امرأة ، والثانية من حيث هي

ملكة ، والثالثة من حيث هي شخص سياسي :

كليوباترا امرأة

(١) جميلة :

وأمام جمالها يتمنى زينون رأسين :

يطأطىء رأسا لمجد النبو غ ويخفض رأسا لمجد الجمال

ويناجيها أنطونبوس قائلا :

ردّي على هامتي الغار التي سلبت فقبلة منك تعلوها هي الغار

وبذكورها وهو يودع الدنيا :

لما أقيمتك في الجمال وعزه فهزت قواي الظافرات قواك

وفي احتضاره يهتف بها :

كليوباترا زوديني قبلة من ثناياك العذاب الشجيات

وهيلانة تتحدث عنها :

لم يحو شمسين الفلك

وأنوبيس يلقبها :

شعاع المدائن نور القرى

وجبروا ينهر أمام كفها ...

عجب عيني لا تقوى على هذا الضياء

هذه كف إله جاء في زي النساء

ورسول اكتافوس قصير يعجب لمولاه كيف :

... لا يلبى دعوة الحسن طائعا ...

وقد كان يوليوس يقوم ببابه ويمثل أنطونوس في العتبات

(ب) قوية الثقة بمجالها :

وبوحي من هذه الثقة تناجي بالاسكندرية قائلة :

وأنا المهامة وقد ملأتك قاعا

وتصف عشاقها قائلة :

يموتون بي عشقا ويشقون بالهوى فكم من حياة في يدي وبماتي

وحينما تفكر بالانتحار لم يكن يشغلها من الدنيا شاغل إلا أن

تحتفظ في موتها بهذا الجمال ويبدر ذلك أولا في الحوار بينها

بين أنوبيس :

« ولكن أبي هل يسان الجمال » ؟ « وهل يطفأ اللوت » ؟
« وهل يبطل الموت سحر الجفون » ؟

وثانياً عندما تناجي شبح الموت :

ياموت لا تطفئ بشاشة هيكلتي واحفظ ظواهر لحتي وجلالي

حتى أموت كما حييت كأنني بيت الخيال ودمية المثال
وتتحدث عن الحياة فتقول :

إني انتفعت بعبقري جمالها وتمتعت من عبقري جمالي
(ج) قوية البيان :

قوية يمثلها حابي حيث يقول :

ليسياس إنك قد سمعت حديثها كالسحر في الآذان حين يدار
تبدو الحيانة فيه وهي أمانة ويرى الشبات عليه وهو فرار
(د) شاعرة :

وفي ذلك يقول لها أنطونيوس :

وقولي الشعر علويا

ويقول للمغني إياس :

غنني شعر ملاكي غنني شعر الإله

ولها في الرواية نشيدان : « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا »
و « يا طيب وادي العدم » .

(ه) ولوع بالقراءة :

وفي ذلك يقول زينون :

... .. تنسى ملكتها بقاء الكتب أو تنسى هواها
وقد رأينا أن لها في قصرها مكتبة .

(و) الأمومة لديها كالغرام - وسوف نتحدث عنه
في موضعه - عاطفة ثانية إذا كان حب المجد وإباء الضيم فيه
عاطفتها الأولى :

وقد اشتبه عيش الذليل لأجلهم فلا المجدي رضي لي ولا النبيل يسمح
(ز) عفة الهوى :

وقد تروّع القارئ هذه الحقيقة لأوّل وهلة ، إزاء سلسلة التهم
القاسية التي وصمت بها كليوباترا في الرواية كما يبدو من هذه الأمثلة :

(١) هتفوا لمن شرب الطلا في تاجهم وأصار عرشهم فراش غرام

(٢) أترضى أن يكون سرير مصر قوائمه الدعارة والبغاء ؟

(٣) قد اجتزأت على روما البغي

(٤) صرح ابن قل غدرت قل جدّدت بقصر الثالث دولة الهوى

(٥) أفنت العمر بالهوى بهيمة الذات والشهوات

لكن قليلاً من التفكير يردّه إلى وجه الصواب فالتهمة الثانية قد رماها بها حايي الذي كان يراها عن بعد في ضوء الاشاعة السائرة ، والذي لم يلبث أن نزل عن بعد رأيه فيها حينما عرفها عن كُشب ، فعاد يعدها « أبر المالكات » و « أشرف الناس إحساساً ووجداناً » و « لا يقيس بها في الطهر إنساناً » . والتهمة الأولى قد وجهت إليها من شاب كان يشترك وحايي في نظرتها الأولى إليها ، لكنه لم يقترب منها ليرى ما رآه حايي في النهاية . والتهمة الثالثة موجهة إليها من قائد روماني غاضب لكرامة بلاده ، أي من خصم سياسي ممتور . والتهمة الرابعة صاحبها أنطونيوس ، رماها بها ظمناً في ساعة يأس ، ثم كفر عنها بانتحاره ، وسوف نتحدث عن وفائها له بعد قليل . والتهمة الأخيرة إنما تجمع فيها كل موباترا خلاصة ما يقال فيها وفي هواها ثم تدفعه في قولها :

فدأ لغرامي بالرجال وحسنهم	غرام الغواني أو هوى الملكات
فليس الغلام البارع الحسن فتنتي	ولا الرائع الأجلاذ والعضلات
...	...
ولكن عشقت العبقريّة طفلة	وفي الغافلات البله من سنواتي
وفي قولها والضمير للحياة :	
ووجدتها قد خلدت أبطالها	فبسطت سلطاني على الأبطال

(ح) وفيه لغرامها مخلصه فيه إلا حيث يصطدم هذا الغرام بوطنيتها .

فأما وفاؤها لغرامها وإخلاصها فيه فموقفها من أنطونيوس جريماً ومبتأً وبعد أن لم يعد يرجى منه خير ولا أمل ، وذكرها له وهي مشرفة على الموت حيث تنادي الموت قائلة :

سربي إلى أنطونيو في نضرتي ورواء جلابي وزينة حالي
وحيث تنادي وصيفتها قائلة :

البساني حلة تعجب أنطونيو سفيه

كل ذلك آيات على هذا الوفاء والاخلاص .

وأما تضحياتها بغرامها لسياستها فعلى الرغم من أقوالها « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » و « الحياة الحب والحب الحياة » ونحن قربنا له - أي للحب - ملك الثرى » و

هو أعطى الحب تاجي قيصر لم لا أعطي الهوى تاجي منا
على الرغم من هذه العاطفة القوية التي أظهرتها كليوباترا دائماً في مواجهة أنطونيوس ، والتي لم يؤيدها الأمر الواقع ، والتي إن دلت على شيء ، فعلى أن كليوباترا كانت ككل امرأة سواها . . .

(ط) - يداخلها في حضرة حبيبها أثر المبالغة وروح الرياء ولعلها تعتذر عن ذلك إذ تقول والضمير للحياة :

بلت الحياة أنا وأخذت كل خديعة ومحال
عنها تناولات الرياء ورائة
نعود فنقول على الرغم من كل هذا إن غرام كليوباترا - كما
سوف نرى حينما نعرض لسياستها - ما تعارض يوماً مع هذه
السياسة ومع ما كانت تكفل به التاج المصري من حب ورعاية ،
إلا آخر هذا الغرام صريعاً .

بقيت نقطة أخيرة تتصل بهذا الهوى ، وتلك أن كليوباترا
كانت في ساعات لهوها

(ي) تقنى في هذا اللهو وتستمتع به وتنسى ما سواه .

وحسبنا في الإشارة إلى ذلك قولها :

فاطو معي حوادث الـ أمس ولا تجدد
رامض معي في لذة الـ يوم ودع هم الغد
وقولها :

لتكونن ليلة آخر الدهر تذكر
لا نبالي إذا صفت بعدها ما يكدر

على أنها كانت تستظل في هذا الاستمتاع بظل من الوفار
يتبارى مع خلاعة الاغراق فيه ، تلك الخلاعة التي كانت سمة العصر

المترف المستهتر التي عاشت فيه ، والتي نكتفي من إثباتها بالإشارة
(أو لا) إلى قول القائل :

هلا نظرت إلى الأميرة إنها سكرى تعثر في خليع عندها
(ثانياً) إلى انضاعها في وليمتها حيث تترك يدها في يسر لتكون
نهباً بشفاه عرّاف صغير .

أما الظل الوقور الذي كانت تستظل به في هذه الساعات
اللاهية والذي يبدو في قوفاها :

اجعلوها وليمة وبساطاً يتبارى خلاعة ووقارا
فلعلها استمدته من قبس ديني ما فتىء يتودّد على نفسها بين الحين
والحين . وتبدو ...

(ك) مستمسكة بدينها إذ تهتف بأنوبيس في موضع :
صل من أجلي ولا تذس صغاري في صلاتك
وفي موضع آخر :

هذا مقام صلاتي وهيكلي للضراعة
ولي خطايا كثير لا تبرح البال ساعه
فادخل وصل لأجلي فمك ترجى الشفاعة
وفي موضع ثالث :

ابي دخات نفسي حيرى الزمام حزينه

وقد تركت المصلى وملء قلبي سكينه
 إن الصلاة على شد الزمان معينه
 وبين هذه العفة والوقار من جانب ، وهذه المتعة والخلاعة من
 جانب آخر جهرت كليوباترا بهذا الاعتراف والضمير للحياة :
 ولربما رشدت فسرت برشدها وغوت فأغوتني وضل ضلالي
 ووصفها أنوبيس بأنها كشعاع الضحى :
 مخوض الوحل ويغشى الحلى ويأوي الحضيض ويعلو الذرا
 ولكنه طاهر حيث طاف نقي الذبول عفيف الخطا
 كليوباترا ملكة

(١) قوة الشخصية :

وأظهر ما تبدو هذه القوة في اربع مواضع . (الأول) حينما
 تدخل على زينون بعد أن لعنها وتأمّر عليها فلا يكاد يسمع تحيتها
 حتى يردّها قائلاً :
 سلام السماوات في مجدها على ربة التاج ذات الجلال
 (الثاني) حيث يقول أوريوس :
 لولا الوليمة والشراب وحرمة لأميرة الوادي السعيد ودارها

(الثالث) حيث يقول انطونيوس :

أخرجت أمري واختياري من يدي وتركنتي نفساً بغير ملاك

(الرابع) حيث يؤنبها أكتافيوس :

لعبت بأنطونيو وبوليوس حقبة كما جاء بالمسخور أو راح ساحر

بيد أن هذه القوة كانت تظهر أحياناً كأنها مشوبة بضعف ،

لكنه ضعف مصطنع ترى فيه المرأة دائماً سلاحاً من أسلحة قوتها .

فهي حينئذ تنادي انطونيوس :

مكانك قيصر لا تذهبن ولا تبرح القصر أهلك اسي

إنما تجرّب قوّة دلالها ، وقد أفلحت في هذه التجربة ورأينا

كيف استنهضت بهذا الدلال من حماسة انطونيوس ، وكذلك

عندما تقول لأوكتافيوس :

فخذ من يد الموت ومن عاجزة تبكي

فقد كان ذلك منها تمكماً بتمكّم ، وقد رأينا كيف وقفت بعد

ذلك وقفتها في إبانها وكبرياتها الأعزل ، فاضطرت القيصر المنتصر

أن ينتقل في خطابها من سخرية إلى احترام .

وفي ذلك تقول هي :

فإن تك بي خشية في النساء فلي جرأة الملكات الكبير

ويقول أكتافيوس :

قد أبطلت كيدي على ضعفها ولم تزل تسخر بالكائد
(ب) مصلحة :

وفي ذلك تناجي الاسكندرية قائلة :

وشيت برك جدولا وخميلة وكسوت بجرك عدّة وشراعا
وأنا اللبابة وقد ملأتك غابة وأنا المهامة وقد ملأتك قاعا
قد خفت من بعدي عليك ممالك يطلقن فيك الفاتحين سباعا
(ج) فخور :

ويبدو هذا الفخر على أشده حينما تجعل نفسها « ضرة روما »
إذ تقول :

اليوم تعلم روما أن ضررتها تقلد الغار من تهوى وتختار
وحينما تقول لحايي :

دع الذود عن مصر لي إنني أنا السيف والآخرون العصا
وحينما تقول :

وقد علم البرية أن تاجي نمته الشمس والأسر العوالي
وحينما تخاطب الاسكندرية قائلة :
« وأنا اللبابة وقد ملأتك غابة »

وحينما تسأل العرّاف :

أحضيض يومي الآ
خاتم الأيام أو
خرقل لي أم سماء
لى باهتتام العظماء

(د) أوبة :

وأية ذلك قولها لأنوبيس :

أبي لا العزل خفت ولا المنايا
وقولها في وداع حياتها :

أدخل في ثياب الذل روما
... ..

إذن غير الملوك أبي وجدّي
وغير طرازهم عمي وخالي
... ..

وقولها في وداع صغارها :

وقدأشتهي عيش الذليل لأجلهم
وفي تأبين أكتافيسوس لها :

ترفعت عن قيدي وممت عزيزة

(هـ) تتألف خصوصاً :

واحتيالها في اجتذاب حاي اليها عن سبيل حبه لهيلانة

خير دليل .

(و) عطوف على اتباعها :

تقول لوصيفتها :

أنت لي خادم ولكن كأننا في الملمات أهل قربي وصهر
وتقول لها وصيفتها :

يا رب ذنب يتعب العذر فيه مهدت عذري
وقد اكسبها هذا العطف تفانياً في حبها من أولئك الأتباع •
فانظر إلى هيلانة إذ تقول :

إن التي شب في نعمائها ونبت لي في سلطانها شانا
إن لم أمت دونها أو لم أمت معها فما جزيت عن الاحسان إحسانا
وإذ تقول على جثتها :

ليت الطبيب الذي داوى فأخرجني إلى الحياة على الدنيا به طلعا
وإذ يصل هذا التفاني إلى حد التضحية بالحياة ، وإذ يتجلى
الحزن الشامل على القصر ومن فيه في الساعة التي أفل فيها نجم
كليوباترا وأشرفت على مفارقة الحياة ، أنظر إلى كل هذا تجد أن
أولئك الأتباع وجدوا في ظل كليوباترا العطف والرفق والاحسان •
(ز) غفور :

ويبدو ذلك في قولها لحابي :

فمثلك تاب ومثلي عفا

(ح) جليد :

ونرى أثر هذا الجلد في قولها :

يا ويح صبحي بعد طول سرورهم قعدوا إلى أحزانهم يبيكونا
جيتي بهم يا شرميون لينظروا جلدي فيهدأ بعض ما يجدونا
(ط) تكره التملق :

وفي ذلك تقول لجبرا :

خاسني من زخرف المد ح ومن زور الشنا.

سياسة كليوباترا

تقول كليوباترا لأوروس :

الحرب فنك أورو س والسياسة فني

فهل هذا صحيح :

لقد كانت كليوباترا بعيدة النظر حينما عتبت على أنطونيوس
عقب انتصاره في اليوم الأول من يومي المعركة البرية على أسوار
الاسكندرية أن ترك خصمه من غير أن يضربه الضربة القاضية
بعد أن اقتحم عليه مضاربه ...

تركتهم لغد؟ هذي مجازفة غد غيوب وأسرار واقدار

وقد أثبتت هزيمة أنطونيوس في اليوم التالي بعد هذا النظر .

وكانت كليوباترا بعيدة النظر كذلك حينما استشفت من خلال ذلك العرض المعسول الذي عرضه عليها أكتافيوس :

ولها الوادي وما يحل ملكا ورعيه
وبنوها يرثون الملك من روما الوصيه
وإذا حلت بروما وجدت روما حفيه

شبح الحيلة والخداع ، فكادت له كيداً اضطره أن يقف أمام جثتها موقف المهزم يقول :

قد ابطلت كيدي على ضعفها
في الجسد الحي قنيتها لم أبغها في الجسد البائد

✓ هذا من ناحية أخرى فقد اختطت كليوباترا لنفسها سياسة خاصة في هذه الرواية ، وقد ظلت امينة على تنفيذها حتى النهاية ، وقد فشلت في هذه السياسة فشلاً افقدها حبها وتاجها وحياتها ، وافقد مصر ما كان لها من شبه حرية واستقلال .

ونعرض الآن هذه السياسة ثم نتناولها بالبحث لنرى مواطن ضعفها وكيف انتهت إلى هذا المصير .

وكانت كليوباترا أسيرة عواطف ثلاث :

(الأولى) حبها لمصر وحرصها على مستقبل تاجها . وقد رأينا ان الرواية ملأى بدلائل هذا الحب والحرص حينما تكلمنا عن جنسية كليوباترا .

(الثانية) حبها لأنطونيوس . ومن العبث أن نستشهد على هذا الحب بنجواها الغرامية المتصلة وحدها كلما جمع المجال بينها وبين انطونيوس ، فلقد تتم هذه النجوى بشيء من المبالغة والرياء ، وخير أن نقصر هذا الاستشهاد على حديثها عنه في غيبته ، إذ تقول :

علم الله قد خذلت حبيبي

وإذ تقول في موقف آخر :

هو انطونيوس ذخري وطريفي وتليدي

وعلى الوفاء له بعد موته ، وقد اسلفنا عليه الدليل ، وهما يكن من انتقاد هذه العاطفة في قلبها فقد كانت لديها كما قلنا عاطفة ثانوية ، كلما تعارضت مع حبها لمصر ، ففي سبيل وطنها كانت مستعدة للتضحية بكل شيء ، وكانت تعتقد حقيقة أن :

المجد لا يسأل عن صاحبة ولا ولد

وكانت مخلصه حينما استنهضت حماسة أنطونيوس بهذه
الكلمة الجامعة :

عد ظافراً أو لا تعد

وآية استعدادها للتضحية بغرامها في سبيل سياسة بلادها
قولها عقب فرارها من أكتيوم :

علم الله قد خذلت جبيلي وأبا صيبتي وعوني وذخري
والذي ضيع العروش وضحي في سبيلي بألف قطر وقطر
موقف يعجب العلا كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر

(الثالثة) بغضها لروما وإشفاقها من طغيان سلطانها المكين .

ويبدو هذا البغض في عدة مواضع . منها قولها :

لا تسيروا على ولائم روما سرفاً في الفسوق واستهتاراً
ومنها قول أحد القواد الرومان لزميل له :

أسمع ما تقول عدو روما ؟

وقولها :

دعوا روما ولا تجروا لها ذكراً

وقولها :

حبوا أعينك سحر يشل طاغوت روما ؟
ويجعل الناس فيها حجارة ورسومها

وقولها في موقف مفاضلة بين ألوان الشراب :

دنان مصر لا دنان الروم

ثم شعور الناس جميعاً - حتى خصومها - بذلك البغض ،
وفي ذلك يقول حاي لزينون قبل أن ينزل عن رأيه فيها :

ولم يبق على الود لروما غير زينون
وإشباعاً لهذه العواطف جميعاً رسمت كليوباترا لنفسها ثلاث

غايات :

(الأولى) أن تستخلص الشرق لنفسها مستقلاً عن كل نفوذ .

(الثانية) أن تضعف قوى روما ما استطاعت مع المحافظة على

قواها هي .

(الثالثة) أن تعكس الآية السياسية الموجودة يومئذ ، فتسود

روما من خلال سيادة قيصر ضعيف تضمن أن يخضع لفتنة جمالها
دائماً ، كما تضمن أن يخشى قوة بأسها ثانياً ، وكل هذه الشروط
كانت تجتمع في أنطونيوس . وتحمل كليوباترا غايتها الأولى والثالثة
في قولها لأنطونيوس :

أنت لروما في غد وقيصرون بعد غد
والشرق سلطاني الذي إكليله لي انعقد

ثم تبسط غايتها الثالثة إذ تقول :
قلت رومانصدعت فتوى شطـ ... را من القوم في عداوة شطر

وتبينت أن روما إذا زلت عن البحر لم يسد فيه غيوري
والوسيلة التي ظنتها كليوباترا كفيلة بتحقيق هذه الغايات ، أن تقف
من القيصرين المتحاربين موقف الحياد ، فقد كانت تؤمن بتكافؤ
قواهما الحربية ، لأنها « تقاسما الفلك والجيش » وبات كلاهما :

... شطـ ... را من القوم في عداوة شطر
وقد أثبت تداول النصر بينهما قبل المعركة الفاصلة صدق هذا
اليقين . وقدّرت كليوباترا أن حيادها هذا يكفل لها الاحتفاظ
بقواها في البر والبحر ، بينما ينهك القتال قوى القيصرين - المنتصر
منهما والمخذول - حتى إذا قرت الحرب بينهما ظهرت بجيشها
واسطولها ، لتجهز على أكتاف يوس - إذا ظفر - وهو متمعب
منهوك ، ولتحيي أنطونيوس - إذا كان هو الظافر - تحية القوي
للضعيف ، لا تحية التابع للمتبوع . لكن الحياد الصريح كان معناه
المحتوم أن تفقد أنطونيوس ، وأن تفقد كل أمل في هواه ، وأن
ينهار بفقدان هذا الأمل صرح أمانيتها جميعاً ، فاصطنعت كليوباترا

لنفسها حياءاً مقنعاً تتظاهر فيه بالقيام بنصيبها من أعباء الحرب
إلى جانب أنطونيوس ، حتى إذا نشبت المعركة فرت بجيشها
أو أسطولها ، تاركة لفرار انطونيوس القوي مهمة التماس الاعذار
لضعفها وفرارها من حومة القتال ، ناطقاً عن لسانه :

فقلت انسحبت ضعفاً وقال الناس بل غدرا

ولو كانت لهم قلب كقلبي التمسوا العذرا

ومهمة أخرى هي إلقاء تبعة الغدر والحيانة على من يشاء من
قوادها :

فيأقائد الأسطول هل من مكيدة تدبر لي خلف الشراع وما أدري؟

وما من شك انها مهمات يسيرة ، إزاء مهمة الاعتذار لحبانتها

السافرة لو انها وقفت منه موقف الحياء الصريح ! وما من شك

كذلك ان هذه المهمات قد اداها غرام انطونيوس بنجاح فقد

عفى عن ضعف حبيبته مرتين ومات راضياً عنها كل الرضاء .

ونستطيع استخلاص هذه الحطة التي اتخذتها كليبواترا من

اربعة مواضع :

(الأول) في موقف كليبواترا من حاشيتها بعد وقعة أكتيوم ،

تبر فرارها في هذه الأبيات :

قلت ووما تصدعت فتوى شطـرا من القوم في عداوة شطر

بطلها تقاسم الفلك والجيد
 فتأملت حالتي ملياً
 وتبينت أن روما إذا زا
 كنت في عاصف سللت شراعي
 خلصت من رمي القتال وبما
 ش وشبا الوغى بيجر وبر
 وتدبرت أمر صحوي وسكري
 لت عن البحر لم يسد فيه غيوري
 منه فانسلت البوارج إثري
 يلحق السفن من دمار وأمر
 (الثاني) في قول أنطونيوس :

أسطولها إلى مراسيه أوى
 وجيشها ألقى السلاح ونجا
 ولقد يلقي قول كليوباترا في استقبال أنطونيوس على أثر عودته
 ظافراً في اليوم الأول من يومي المعركة البرية :

هو والله نشيدي والمغنون جنودي
 والمخاريق التي تحق من بعد بنودي

لقد يلقي هذا القول ظلاً من الشك على مسابقة خطة الانسحاب
 من المعركة لسياق الرواية ، يعززه أن أنطونيوس لم يأخذ عليها
 فرارها من هذه المعركة كما أخذ عليها فرارها من أكتيوم ، لكن هذا
 الظل المريب يتضاءل ويفنى حيناً نعلم أولاً أن كليوباترا لم تشترك
 في هذه المعركة بتاتا ، فقد « آلى واقسم » أنطونيوس :

... لا يرى في قصرها حتى يقوم مجده المنهار

وظل في حنقه وغضبه منها « بأقرب ثكنة » من الاسكندرية
 يدعو من الرومان - وخدم من يختار :
 ويعدّ أهبطه ليوم حاسم في البر يغسل عنه فيه العار
 وحينما تتمشى ثانياً مع قول كليوباترا قليلاً ، فتسمعها في فرحها
 بعودته تقول :

ولديها فارس مد شتم شاكي الحديد
 هوانطونيوس ذخري وطريفي وتليدي

فهي لم تفرق بين جنود انطونيوس واعلامه ، وبين جنودها
 هي واعلامها ، ولكن ذكرت نوعاً واحداً من الجنود والاعلام
 والآنشيد ، وقالت هم جنودي واعلامي وآنشيدي ، لأنها في غرورها
 الفخور وفي ثقتهما بجهلها وحب انطونيوس لها وحبها لانطونيوس ،
 كانت تعتقد ما قالت « أنا انطونيو وانطونيو أنا » ، وترى على
 هذا أن كل ماله إنما هو ملك لها ، وكان انطونيوس بدوره يتناسى
 في انتصاره عتبه الأول ، ويتناسى في غرامه آنشيد روما واعلامها ،
 ويتخذ آنشيد مصر واعلامها ، ويترك أسطوله « يعب تحت هذه
 الاعلام » ، وجيشه يتغنى بهذه الآنشيد ، وفاء لها بما اخذه لها
 على نفسه ، انه « مصري » وأنه « تابعها الوفي » وأنه ما في سوى
 رضاها له مضي .

(الثالث) قولها لأنوبيس :

وجيش الحليف وجيش العدو يظهر المدينة شبا الوغي
أما جيشها هي فسياستها تعلم أين كان !

(الرابع) قولها لأنوبيس كذلك :

أي أعلمت أنت الجيش ولى وأن بوارجي أبت المضيا ؟
فكليوباترا هنا تشكو من أن بوارجها أبت الماضي ، لكن متى
حدث هذا الإباء ؟ هل كان ذلك في معركة أكتيوم ؟ طبعاً لا . .
لأنه لو كان ذلك كذلك لما كان هناك سبيل لشكاة كليوباترا من أمر
هي صاحبة الرأي فيه ، ولما كانت هناك سبيل للتعبير عن فرار
الأسطول يومئذ بأنه « إباء » أي تمرد ، وهي الامرة بالفرار
وأسطولها لم يعد أن سمع وأطاع ، ولما كانت هناك فائدة في إخبار
أنوبيس بنياً قد عرفه منذ حين . . . إذن لا بد أن هذه البوارج قد
أبت الماضي إلى الحرب بعد هزيمة أنطونيوس الأخيرة ، وقد يبدو
- وإن كان ذلك في شيء من الغموض - أن كليوباترا تنفذ
لما بسطنا من خطتها أرادت أن تضرب أكتافوس عقب انتصاره
كما قدّرت ، فأهابت بأسطولها أن يمضي فأبى هذا الماضي ، وأهابت
بجيشها أن يمضي فولى الأدبار . . . اعتاد كلاهما لذة الدعة وراحة
الفرار ، ومن هذه العادة جنت كليوباترا ما غرست فيهما من بذور

الضعف والخور ، وتحطمت خططها وسياستها على صخرة عاتية
وقفت لديها تعض بنانها ندماً وتقول :

ايها العين أبصري إنما كنت في حلم

مواطن الضعف في هذه السياسة (التي)

(أولاً) أخذ أنوبيس على هذه السياسة بصفة عامة أن
كليوباترا كان يجب أن تخلص في عون انطونيوس ، فيكون الأمل
في الظفر أقوى ، وذلك حيث يقول :

تركتم انطونيوس وحده يلقي العدا
من أجلكم سل الحسام وإلى الحرب مشى
ما كان ضرر لو التفتقم على الهوا

لكن حسن الظن في كليوباترا قد يستطیع الاعتذار لها بأنها
كانت تريد إلى جانبها قيصرأ ضعيفاً يمكن أن يرث عنه القيصرية
ولدها قيصرون ، لا قيصرأ قوياً قد تفقد سلطانها عليه إذا تعرض
غرامه للذبول .

(ثانياً) قدرت كليوباترا أن يظل انطونيوس في المعركة
بعد فرارها فخانها التقدير ، وفر في أثرها انطونيوس :
لم تأت حتى جاء في آثارها للحب اجنحة بهن يطار

(ثالثاً) لم تقدّر ما يحدثه فرارها من الضعف المعنوي في جيش أنطونيوس ، وآية هذا الضعف قول أوريوس لمولاه :
 وخلفت في عسكر كالنعام كثير الثغاء قليل الغنا
 فمن يائس مات قبل القتال ومن خائف فرّ قبل اللقاء

(رابعاً) صراحتها الطائشة في إعلان بغضها لروما أمام الرومان ، واضطرارها أنطونيوس أن يظهر بهذا المظهر كذلك أمام قوّاده ، مما أحقّ أولئك القوّاد وجعلهم يقولون :

سنبث ساعة نختال حتى إذا سلت عقولهم انسلطنا
 فما المتدله السكير أهلاً لتنصره السيوف إذا استلطنا
 ونرى أثر هذا الحق حينما يقول انطونيوس :

جنود أكتاف أدركوني ياليتني مت قبل هذا
 فيجيبه جندي روماني :

لا بل جنودك لكن خانوك حباً لروما

(خامساً) عدم اتعاضها بضعف سياستها بعد معركة اكتيوم ، وتكرار الانسحاب وتكرار الهزائم .

(سادساً) اعتمادها على جيش واسطول علمتها الهرب من ساحة القتال ، وقصارى ما نستطيع أن نقول في سياسة كليوباترا

إن عيها كانت ترى ما وراء الأفق وتعمى عما تحت أنفها من
عثرات ، وإن هذه السياسة ليست المسئول الوحيد عن هذه الكارثة
التي انتهت بها حياة كليوباترا ولكن هناك مسؤول آخر هو الضعف
النفسي الذي تحكم يومئذ في انطونيوس .

* *

ولعل خير إطار تحلى به هذه الصورة الجامعة المتسقة الألوان
لحياة هذه الملكة هو تأبين أنوبيس لها :

بذتي رجوتك للضحية والفدا فوجدت عندك فوق ما افاراجي
إن تصبحي جسداً فنفسك حرة وعلاك سالمة وعرضك ناجي
سيقول بعدك كل جيل منصف ذهب ولكن في سبيل التاج

أنطونيوس بجانب للسيويرة

رسم المؤلف صورتين لأنطونيوس الجندي في هذه الرواية :
(الأولى) صورته قبل أن يتصل بكليوباترا ايام ان كان
يضحي بالهوى في سبيل المجد .
(الثانية) صورة انطونيوس بعد ان عرف كليوباترا واصبح
يضحي بالمجد في سبيل الهوى .

ونرى الصورة الأولى حينما يذكر أنطونيوس - وهو مشرف على الموت - أيام صباه فيقول :

وأيام يدعوني الهوى فأجيبه وينفخ في البوق المنادي فأنهري
قتلت الغواني برهة وفتنتي ولكنني عن سودد لم أقصر
فهمة قلبي في شراب وصبوة وهمة نفسي في علاء ومفخو
أروس توافقنا على كل غمرة وكل مجال نأثر النقع اكدر
وفي مهرجان الفاتحين وعرسهم وتحت لواء أو على عود منبر

فتراه من خلال هذه الصورة ، شجاعاً ، ظافراً ، خطيباً يشبع عاطفته ولكن إلى الحد الذي لا يقف به في سبيل المجد عن غاية .

ونرى الصورة الثانية حيث يقرر أنطونيوس من معركة اكتيوم وفي ذلك يقول حابي :

لم تأت حتى جاء في آثارها للحب أجنحة بهن يطار
وإذ يخرج به الهوى من معركة لو استمرّ فيها لكتب له النصر
الأخير ، وذلك إذ يقول لكليوباترا عقب انتصاره المؤقت :

ومالت الشمس أو كادت فراجعني شوق اليك عديم الدار سوار
حتى رجعت ولو أني طردتهم لبات اكتاف عندي وانقضى النار

وإذ ينسى بلاده ووطنيته وجنسيته في حب كليوباترا فتستطيع
أن تقول :

... .. دعوا روما ولا تجروا لها ذكرا
فما أنطونيو منها وإن كان ابنها البكرا
ولكن تحت أعلامي يقود البر والبحرا
فيسأله قائد من قواده :
أحق مارك انطونيو س من رومية تبها ؟
فيجيبه :

أجل اتبع مولاتي ولا أعصي لها أمرا
وإذ تستطيع أن تقول :
أنطونيوما انت روماني ألم تقل إنك لي جندي
فيجيبها :

أجل وزدت أنني مصري وأنني تابعتك الوفي
ما في سوى رضاك لي مضي

وإذ يقول هو والخطاب لروما :

إن الذي بالأمس زنت جبينه بالغار عكك جهده وعصاك
وإذ يقول له قائد من قواده :

إلا إنه ليل له ما وراءه غرامك حي فيه والمجد ميت

وأخر :

فما المتدله السكير اهلا لتنصره السيوف ...
وثالث :

حياته في يديه أم في يدي كليوباترا
وإذ يناجي هو « إلهته » كليوباترا :

أخرجت أمري واختباري من يدي وتركنتي نفساً بغير ملاك
وإذ يفقد مزية الجندي الباسل في ساحة الوغى ، تلك المزية
التي أثبتتها لنفسه حين سأله كليوباترا :
... .. أسلم انت لا أسر ولا عار ؟
فأجاب :

أسر ؟ وهمت كليوباترا
لو قلت قتل لكان القول أشبه بي كأس المنايا على الأبطال دوار
وتلك هي مزية الثبات التي يفقدها انطونيوس بفراره من
اكتيوم ثم فراره من المعركة البرية الثانية إذ يقول :

جلت نفسي بعار يبقى بقاء الزمان
لما حملت جوادي على الفرار ازدراني
وضج مني سيقى وضج مني سناني

وددت الأرض تحني لو طهرت من عياني
 أنا الذي كان امضى من الحديد جناني
 كان الملوك عبيدي فصرت عبد الحسان

على أن المؤلف ترك له ما سوى هذا من مزايا الجندية ، فجعله
 على لسان كليوباترا :

جيشاً بمفرده في الروع جرار

وجعله على لسان حبرا « إله الحرب » .

وجعله على لسان اوروس « إله الوغى » حيث يقول :

رأيتك والحرب تبلو الكهامة فأشهد كنت إله الوغى
 وقد كان سيفك غول السيوف وكانت قناتك غول القنا
 وكنت إذا الموت افضى اليك تحديته فانشى القهقري

وجعله على لسان جندي روماني :

..... هيكلا عز في الرجال ضريبا
 ... خير من هز رحاً أو نضا صارماً ولاقي الحروبا

وجعله على لسان كليوباترا :

محور الأرض وميزان الشعوب

وجعله على لسان أكتافيوس « سيفاً باتراً لروما » :

ضمن أمثلة من هذا النوع تناثرت في الرواية .

لكن هذه المزاي الباقية لم تغن عنه شيئاً إزاء ضعفه النفسي الذي أفاضه عليه اندفاعه الأعمى في هواه ، وجعله من حيث طاعته لكليوباترا « كهمج الاسكندرية » .

ثم صور المؤلف صورة أخرى لأنطونيوس من حيث هو رجل فنراه من خلال هذه الصورة : غفوراً يتجلى غفرانه لكليوباترا مرة بعد أخرى ، ويبدو ذلك في قولها له :

وكم حققت ثم اصبحت كأنك لم تحقد

رحيم القلب ، بشوش الوجه :

وتبدو رحمته وبشاشته في قول كليوباترا :

ليس العبوس سنة لوجهك الطلق الندي

ولست من يغضب في ليل الشراب والدد

ولست للكأس على شاربها بالمفسد

قلبك كنز الحب والرحمة والتودد

أكتافبوس فير

يظهر أكتافبوس في الرواية قائداً عظيماً قوياً ويبدو ذلك في انتصاره وفي قوله «وما أنا إلا سيف روم» وفي قول كليوباترا: إن استطعت على ما لك من بطش ومن فتك وما حولك من خيل وما تحتك من فلك وسياسياً:

ويبدو ذلك في المعاهدة التي اراد أن يجمع بها كليوباترا لبتخذها شارة في موكب انتصاره.

أنوبس

يتمثل في الرواية مصرياً شديداً الغيرة على مصرته: ويتجلى ذلك إذ يقول:

أيزيس كيف أصلي على ابن يوليوس قيصر
أبوه عال ولكن فرعون أعلى وأكبر

وإذ يوحى إلى كليوباترا فكرة الانتحار عطفاً عليها من حيث هي ملكة مصرية وحرصاً على كرامة التاج المصري، ويتضح ذلك في حوارته حول أفاعيه وإذ يختم هذا الحوار قائلاً:

مينا بايزيس احملهن اليك ولو في سلال الحضر
إذا بات في خطر تاج مصر سبقت اليك بهن الخطر

وهو من هذه الناحية موزع بين عاطفتين :

(الأولى) عطفه على كليوباترا .

(الثانية) بغضه لروما .

ويتجلى هذا البغض في قوله :

حابي أحيط القصر بالذئاب وبني من السخط عليهم ماي

ولكنه لم يكن ينسى في هذا البغض أن آمال مصر معقودة

على انتصار انطونيوس . وقد رأينا أثر ذلك في سياسة كليوباترا .

**

كَمَل طبع رواية «مصرع كليوباترا» بمطبعة دار الكتب المصرية
في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٦٥ (٢ مايو سنة ١٩٤٦)

محمد نديم

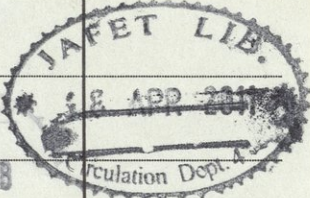
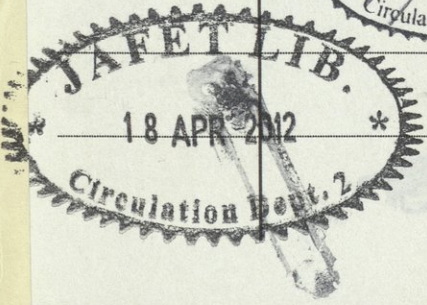
مدير المطبعة بدار الكتب

المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٦٥ / ١٩٤٥ / ٧٠٠٠)

2W

DATE DUE

892.72:sh53maA:c.1

شوقي، احمد

مصرع كليوباترا

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01038997



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

A.U.B.

892.78
Sh5985maA
c. 1